جامعة الخرطوم
كلية الدراسات العليا
كلية التربية
قسم التاريخ

أثر التجار المسلمين في انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا

(حتى القرن السادس عشر الميلادي)

بحث مقدم لنيل درجة ماجستير الآداب في التاريخ

تقديم:
الطالبة: إمتثال الأمين محمد الحاج
إشراف:
دكتور: على عبد الله الخاتم

نوفمبر ٢٠٠٦

إهــــداء

إلى ..

روح والدي .. عليه رحمة الله

الشيخ / الأمين محمد الحاج .. مربياً ومعلماً

في رحاب الله .. مع الخالدين

الباحثة

شكــر وتقدير

أتقدم بوافر الشكر والعرفان لأستاذي المشرف على هذا البحـث الـدكتور على عبد الله الخاتم لما قدمه من توجيهات حول منهج البحث وأسلوبه ومـضمونه وما كان لي أن أتمكن من النفاذ لمادة البحث لولا جهده الذي يجد كل تقديري.

كما أتقدم بالشكر للدكتور محمد سعد محمد سالم

كما أتقدم بالشكر للأساتذة العاملين بمكتبات جامعات الخرطوم ، مكتبة كلية التربية ، ومكتبة السودان ومكتبة التجاني الماحي ، ومكتبة الشنقيطي ، وأخـص فيها بالشكر الأستاذ عيسى محمد حسب الله.

وكذلك العاملين بمكتبات جامعة أم درمان الإسـلامية ، وجامعـة أفريقيـا العالمية وجامعة القرآن الكريم ، ما ساعدوني به من توفير بعض المراجع الهامـة و أفضل أجواء الإطلاع.

كما أتقدم بشكري لأفراد أسرتي الكريمة لما قدموه لي من جهد مقدر فـي سبيل إخراج هذا البحث.

والله ولي التوفيق ،،،

الباحثة

مستخلص البحث

تتبع هذا البحث ظاهرة انتشار الإسلام في غرب إفريقية منذ الفتح العربي الإسلامي لمنطقة الغرب الإفريقي.

وساعد على ذلك عدة وسائل من أهم هذه الوسائل التجارة.

فقد أسهمت التجارة إسهاماً فعالاً في انتشار الثقافة العربية الإسلامية. كعماد أساسي في اقتصاديات دويلات الغرب الإفريقي.

من خلال نظام التعامل الذي يعتمد اعتماد أساسي على الصادرات للدول الشمال المراكز التجارية في الشمال والمحاصيل وأشكال التبادل المختلفة.

أسهمت التجارة في انتعاش اقتصاد الدويلات الإفريقية فقد تركت آثار ترتبت عليها إثراء الحركة الثقافية والتعليم الإسلامي في المنطقة.

وأن الإسلام حقق الوحدة للقبائل ، وأحدث نوعاً من الرخاء بسبب التجارة، وفتح الأسواق مما أعطى الأفريقي الإحساس بالمسئولية والاهتمام بالكتابة والقراءة. مما شجع على الحركة الأدبية والفكرية في المنطقة ونهض الشعراء والأدباء فقد غدت المراكز التجارية مراكز ثقافية وكان التجار دعاة بجانب مراكز التجارية ، فقد أصبحت اللغة العربية لغة التجارة والفكر والثقافة.

ونشطت حركة التعليم الإسلامي وحركة الترجمة والتأليف بفضل انتشار الإسلام.

فقد كانت للتجار المسلمين الدور الرئيسي في انتشار الإسلام في المنطقة.

Abstract

The study, following a descriptive analytical method, tackles the phenomenon of spread of Islam in the states of West Africa, in the Chapter One. The chapter also tracks the means and ways of such spread in the said region. The study examines the hypothesis of a role played by Arab traders in the spread of the faith.

Chapter Two shows trade as a major axis in the economies of the states of West Africa; listing types of merchandise and farm crops exchanged and the forms of such exchange.

Chapter Three describes commerce transactions in the context of Islamic doctrine and the impact of such on society in the region and the system of education.

In its fourth chapter, the study outlines the developments Islam witnessed and the movements based on Islamic doctrine and the impact of these movements on systems of governance in West Africa.

The intent is to confirm that Islam has taken roots in society and the state in the region. Islam is also deeply established in the economies of these states, where trade exchange had an historical impact on the rise thereof. The study findings prove the accuracy of the hypothesis that trade and traders had a pivotal role in the spread of the faith in the region.

المحـــتويات

ارتبطت دول غرب أفريقية بطرق تجارية عبر الصحراء الكبرى. شمالاً بدول المغرب العربي ، وساحل البحر الأبيض المتوسط ، كان لهذه الطرق دور في نشر الإسلام بالإضافة إلى دورها الاقتصادي وانتعاش الأسواق والنهضة الثقافية.

أهمية البحث:

١- تكمن أهمية البحث من حيث موقع قارة إفريقية بين قـارات العـالم فـي الوسط فهي بين الشرق والغرب ، وارتباط منطقة البحث بعلاقات متعددة، في مختلف الاتجاهات ، فهي منطقة تفاعل اجتماعي، ثقافي، واقتصادي.

٢- برزت المنطقة كميدان للتلاقح العرقي والثقـافي مـن خـلال العلاقـات التجارية ، مما جعلها منطقة تعدد أكتسب فيها الدين الإسـلامي ، مكانـة بواسطة التجار المسلمين ، فالبحث يهتم بدور التجار كعامل أساسي فـي نشر الدين الإسلامي.

أهداف البحث :

١. يهدف البحث إلى توضيح العلاقات التجارية بين الشمال وممالك الغـرب الإفريقي وما نتج عنها من آثار اقتصادية وثقافية.

٢. دراسة الحركة التجارية في ممالك غرب إفريقية لتدليل على قيام واستقرار الدول والممالك ، ونشوء علاقات فيمـا بينهـا ، ومحـيط دول الجـوار وتأثيرها.

٣. الكشف عن المكانة التي احتلها التجار المـسلمين فـي مجمـل الحركـة التجارية والثقافة لممالك الغرب الإفريقي.

حدود البحث:

حدود البحث المكانية :

تقع منطقة الدراسة غرب القارة الإفريقية وامتدادها من المحيط الأطلـسي غرباً وتشمل حوض نهر السنغال ونهر النيجر ، وحالياً هي المناطق التي شهدت

قيام ممالك غانا ، ومالي ، صنغي. وعرفت قديماً ببلاد السودان.[1] تقع بين خطي طول ٣٠ درجة شرقاً و١٠ درجة غرباً ، وخطي عرض ٣٥ درجة شمال ، وخط الاستواء ، صفر درجة جنوب.

حدود البحث الزمانية:

حدود البحث الزمانية تبدأ منذ دخول الإسلام ، دويلات الغرب الإفريقي دول غانا في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، وامتدادها إلى دولة مالي ، في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي. ودولة صنغي في حوالي القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، حتى سقوطها عام ١٥٩٢م.

منهج البحث:

منهج وصفي تحليلي للحركة التجارية وانتشار الإسلام وآثارها الاقتصادية والثقافية في دويلات ومدن ممالك غرب أفريقية.

موقع البحث من الدراسات السابقة:

تناولت معظم البحوث العامة الخاصة بالتاريخ الأفريقي ، الناحية السياسية والتاريخ السياسي لدويلات الغرب الإفريقي فقد أشار قليل من الباحثين إلى النواحي التجارية ومراكز التجارة ، فقد اهتمت هذه الدراسة بالعلاقات التجارية وأثر الحركة التجارية في انتشار الإسلام ، والثقافة الإسلامية مفصلاً عن الآثار الاقتصادية ، إذ كانت معظم السلع المتداولة تشير إلى ثراء الممالك ، فقد استعنت في هذا البحث بدراسة د. أحمد الياس ، طرق القوافل التجارية حتى مستهل القرن السادس عشر ، وضح فيها طرق القوافل التجارية في المنطقة الغربية من الصحراء والمنطقة الوسطى من الصحراء وتناول السلع المتبادلة بين طرفي الصحراء الشمالي والجنوبي.

فقد أشرت إلى ذلك مضمنة ذلك داخل حدود دويلات الغرب الإفريقي غانا، مالي ، صنغى ، صادراتها وارداتها ، كذلك الاهتمام بالترابط بين التجارة والعقيدة الإسلامية ، وانتشارها ودور التجار المسلمين في ذلك الترابط.

[1] عبد القادر زيادة ، صنغي على عهد الأسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧١ ، ص ١٥.

كذلك استعنت بدراسة جمال زكريا قاسـم ، عـن الأصـول التاريخيـة للعلاقات العربية الإفريقية ، في الفصل الثالث من حيث تناوله لطـرق القوافـل التجارية عبر الصحراء حيث فصل طرق القوافل داخل مملكة غانا.

مشاكل البحث:

ندرة المصادر التي تتحدث عن دور التجار كعماد أساسي في هذه الممالك ، فمعظم المصادر التي تناولت المعاملات التجارية ، تعتمـد علـى مـا كتبـه المؤرخون والرحالة الجغرافيون ، الذين زاروا منـاطق غـرب أفريقيـة فهـي معلومات متناثرة في مجموعة واسعة من الكتب.

عدم التمكن من السفر إلى منطقة غرب إفريقية لأسباب مادية لإيراد بعض الشهادات الشفهية ، والإطلاع على بعض الوثائق المحفوظة.

والآثار المادية التي تعزز هدف البحث.

تقييم المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذه الدراسة على ما كتبه الرحالة الذين زاروا مناطق غـرب إفريقية منذ القرن العاشر حتى القرن السادس عشر. ومن هؤلاء المؤرخين أبـو القاسم بن حوقل النصيبي (صورة الأرض) "٣٦٧ – ٩٧٧م) زار منطقة الغـرب الإفريقي في حوالي القرن العاشر الميلادي ، وصف حركة القوافـل التجاريـة ، ومراكز التجارة الشمالية التي ربطت المراكز الجنوبية من بلاد السودان.

أبو عبيد الله أحمد بن محمد المقدسي: وأهم ما كتبه

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ذاكراً أمم السودان ومراكز المغـرب التي لها أرتباط تجاري ببلاد السودان وتطرق إلـى نظـام التعامـل والحركـة التجارية.

أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧هـ - ١١٨١م)

يعتبر كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب من أهم ما كتب عـن ممالك الغرب الإفريقي ولاسيما مملكة غانا فقد تحـدث عنهـا تفـصيلاً ، عـن مراكزها التجارية ، وجاءت معلوماته دقيقة لاعتماده على طبقة التجـار ، فـي حوالي القرن الحادي عشر.

وهو المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه في جميع فصول البحث.

مؤلف الأستبصار في عجائب الأمصار وغرائب الأقطـار (٥٨٧هــ - ١١٩١م).

فقد تحدث عن ممالك الصحراء ، مصر السودان ، شمال إفريقية ، مراكز السودان التجارية.

محمد عبد المنعم الحميري (٧ هـ - ١٣م)

مؤلفه كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، فقد ذكر مراكز السودان التجارية ، والمراكز الشمالية ووصفها وصفاً دقيقاً.

ووصف أرض التبر ، فقد أشرت إليه كثيراً في الفصل الثاني والثالث.

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللـواتي الطنجـي (٨هــ - ١٤م) (٧٧٠هـ -١٣٦٨م)

زار ابن بطوطة السودان وسجل معلوماته عن مناطق غرب إفريقية فـي كتابه (تحفة النظار في غرائب الأقطار ، وعجائب الأسفار) وجاءت معلوماته عن مملكة مالي ، ويعتبر كتابه أهم مصدر لتاريخ مملكة مالي ، اعتمدت عليـه فـي الفصل الرابع في تفصيله للحركة التجارية وأثرها الاقتـصادي ونظـام التعامـل والأحوال الثقافية.

عبد الرحمن أحمد بن خالدون

" المغرب " كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العـرب والعجـم (أبن خلدون " ٨٨هـ -٤٠٥م) من مؤلفي القرن الخامس عشر الميلادي ، ٩ هـ فقد تحدث عن الصحراء وأمم السودان والشعوب والقبائل ومراكز التجارة.

شهاب الدين أبي عبد الله ، الرومي (البغدادي) معجم البلـدان ، عـام ١٢٢٩م، وصف مراكز السودان التجارية وتحدث عن الصحراء. وسكان الصحراء وطرق القوافل والسلع الصادرة ، ونظام التعامل داخل المراكز الشمالية.

أبو العباس أحمد بن محمد القلقشندي (٨٢١هـ - ١٤١٨م)

تناول ممالك غرب إفريقية في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنـشاء، ذكر ممالك الغرب الإفريقي متناولاً الأوضاع الاقتصادية والسلع وطرق استخراج

الذهب ، النحاس ونظام التعامل الذي كان سائداً في ممالك الغرب الإفريقي. فقد اعتمدت عليه اعتماداً أساسي في الفصل الرابع – لتوضيح الأثر الاقتصادي.

الحسن محمد الوزان (ليو الإفريقي) (٩٦٠هـ-١٥٥٢م)

من مؤلفي القرن السادس عشر الميلادي، زار السودان وتحدث عن مراكز التجارة ، فقد تحدث عن السلع التجارية وطرق التعامل والنقد ، ذاكراً أحوال دولة صنغي فجاءت معلوماته عنها أكثر تفصيلاً.

ما كتبه الوطنيون الأفارقة:

من مؤلفات الأفارقة كتاب محمود كعت التمبكتي تاريخ الفتاش في أخبار الجيوش والملوك وأكابر الناس (١٤٦٣ ، ١٥٤٨) ويتضمن وصف تفصيلي لمملكة صنغي مستعرضاً لبعض السلع أهمها الذهب ، وثراء المملكة وعظمة ملوكها.

عبد الرحمن بن عامر السعدي (١٥٩٥-١٦٩١م)

كتابه تاريخ السودان ، تحدث عن دولة صنغي والمراكز التجارية والثقافية. وجاءت معلوماته متضمنة الناحية الفكرية في دولة صنغي. فقد كان المصدر الأساسي في الفصل الخامس حيث أشار إلى النواحي الثقافية والحياة الأدبية على عهد دولة صنغي.

أما المراجع فقد كان اعتمادي على مؤلفات إبراهيم علي طرخان في كتاباته عن دولة مالي ، غانا ، فقد تحدث عن الحياة التجارية في هذه الممالك والصادرات والواردات بالإضافة إلى النواحي الثقافية والمراكز الحضارية. كذلك مؤلف عبد القادر زيادة عن دولة صنغي. كذلك استعنت بمؤلفات حسن أحمد محمود في سرده للنواحي الثقافية في ممالك الغرب الإفريقي في كتابه انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقية.

مستخلص البحث :

تتبع هذا البحث ظاهرة انتشار الإسلام في غرب إفريقية منذ الفتح العربي الإسلامي لمنطقة الغرب الإفريقي.

وساعد على ذلك عدة وسائل من أهم هذه الوسائل التجارة.

فقد أسهمت التجارة إسهاماً فعالاً في انتشار الثقافـة العربيـة الإسـلامية. كعماد أساسي في اقتصاديات دويلات الغرب الإفريقي.

من خلال نظام التعامل الذي يعتمد اعتماد أساسي على الصادرات للـدول الشمال المراكز التجارية في الشمال والمحاصيل وأشكال التبادل المختلفة.

أسهمت التجارة في انتعاش اقتصاد الدويلات الإفريقية فقد تركـت آثـار ترتبت عليها إثراء الحركة الثقافية والتعليم الإسلامي في المنطقة.

وأن الإسلام حقق الوحدة للقبائل ، وأحدث نوعاً من الرخاء بسبب التجارة، وفتح الأسواق مما أعطى الأفريقي الإحـساس بالمـسئولية والاهتمـام بالكتابـة والقراءة. مما شجع على الحركة الأدبية والفكرية في المنطقة ونهـض الـشعراء والأدباء فقد غدت المراكز التجارية مراكز ثقافية وكان التجار دعاة بجانب مراكز التجارية ، فقد أصبحت اللغة العربية لغة التجارة والفكر والثقافة.

ونشطت حركة التعليم الإسلامي وحركة الترجمة والتأليف بفضل انتـشار الإسلام.

فقد كانت للتجار المسلمين الدور الرئيسي في انتشار الإسلام في المنطقة.

انتشار الإسلام في غرب إفريقية

(أ) فتح بلاد المغرب العربي

ارتبط انتشار الإسلام في غرب أفريقية بانتشاره في شمال بلاد المغـرب العربي ، مما يحتم النظر لفتح بلاد المغرب العربي.

عقب فتح مصر انطلقت الجيوش الإسلامية عام ٢٠هـ ٦٤٠م.[١] نحو بلاد المغرب. وتم فتح طرابلس[٢] عام ٢٢هـ ، لتأمين حدود مصر الغربيـة ، بقيـادة عمرو بن العاص ، وأراد بذلك أن يغزو ما ورائها من بلاد أفريقية.[٣]

بعد عزل عمرو بن العاص تولى عبد الله بن أبي السرح ولايـة مـصر وسير جيشاً لغزو أفريقية. عام (٢٧هـ)[٤]. وأنتصر المسلمون في موقعة أسبيلطة ، وأشار إلى ذلك البلاذري ، في كتابه فتوح البلدان " لما ولى عبد الله بـن أبـي السرح ولاية مصر بعث المسلمين فأجابوا من أطراف أفريقية وغنمـوا.[٥] وممـا سبق يتضح لنا انتصار المسلمين في تلك المعركة.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان عين معاوية ابن حديج أول والـي علـى أفريقية عام ٤٥هـ. إلا أنه في عام ٥٠هـ. عين عقبة بن نافع الفهـري[٦] الـذي افتتح عدة مدن وحصون وأختط مدينة القيروان لتكون مقراً لجيشه.[٧] وأختار لهـا مكان إستراتيجي ، حتى لا تطرقها مواكب الروم ، أصـبحت القيـروان قاعـدة حربية ، ومركز تنطلق منه الغزوات على جبال أوراس فكان أثناء زيارتـه لهـا

---

[١] أبو جعفر بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، بيروت ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ، ج ٤ ، ص ١٠٥.

[٢] طرابلس ، مدينة على الساحل الشمالي لأفريقية ، وهي عاصمة دولة ليبيا حالياً ، وأصل التسمية فينقي قرطاجي ، أضيف إليها طرابلس الغرب تمييزاً لها عن طرابلس الشام. كانت مستعمرة فينيقية وأصبحت قرطاجية إلي أن غزتها الجيوش الإسلامية.

[٣] دائرة المعارف الإسلامية – ج ١٤ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص ٣٥٥ .

[٤] أفريقية . هو الإسم الذي أطلقه العرب على الجزء الشرقي من بلاد البربر أما الجزء الغربي فقـد أحـتفظ بأسم المغرب ، وأفريقية تشمل المغرب الأوسط والأقصى ، البكري المغرب في ذكرى بلاد أفريقية والمغرب ، الجزائر ، طبعة ١٨٥٧. ص55.

[٥] عبد الرحمن أحمد بن خلدون ، العبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦١ ، ج٦ ، ص ٤١٢

[٦] الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٢٥ ، مصدر سابق ، ج ١٤ ، ص ٤١٥.

[٧] العبادي ، مرجع سابق ، ص٤٢.

يبعث لها بالسرايا ، وقوى الجنود بمدينة القيروان ودخل كثير من البربر* في الإسلام ، آثر عقبة أن تكون مدينة القيروان مدينة برية إذ كان يخشى أن تطرقها مواكب الروم فتعرضها للغزو. وفي ذلك يذكر أبن عذار " أنني أخاف أن تطرقها مواكب الروم بغتة فيملكوها فاجعلوا بينها وبين البحر ما لا تقتصر الصلاة في موضعها فأهلها مرابطون". بالإضافة إلى موقعها البري فقد كانت بالقرب من السبخة. حتى تتمكن الإبل من الرعي ، وتكون في مأمن من عادية البربر والنصارى.[1]

ومما تقدم نلاحظ أهمية موقع القيروان الذي يمتاز ببعده عن البحر فلا تتعرض لغزو يقوم به الروم من جهة البحر وهي في مأمن من الغزوات والهجمات البحرية التي يقوم بها الأعداء في تلك المناطق.

وموقع المدينة وموضعها تحدده عوامل مختلفة ، موقعها الجغرافي من حيث خطوط الطول ودوائر العرض التي تحيط بالمدينة وموضعها من الناحية التكوينية التي تقوم عليها المدينة وما يحيط بها من مظاهر طبيعية.

وهذا الرأي يؤكده أبن خلدون في " أن المدينة لابد أن تكون في منازلها سياج من الأسوار في ممتنع من الأمكنة أما على هضبة متوعرة من جبل أو باستدارة بحر أو نهر أو على قنطرة فيصعب على منالها العدو"[2]

---

* البربر: هو أسم أطلق على القبائل التي تقطن حدود المغرب بأفريقية ، وهو مأخوذ من برباري ، الذي كان القدماء يسمون به القبائل الغريبة ولم يكن مختصاً بأمة فهو يطلب على حدود مملكة الرومان ، وإلى جنوب غربي ولايات أفريقية ، وأختلف المؤرخون في أصل البربر ، أنهم من العرب ، من قبائل مضر بن قيس بن عيلان وأنهم من حمير ، يقال أنهم كانوا عمالاً لأفريقش عندما غزا المغرب ، والأرجح ما ذكره مؤرخو اليونان والعرب أنهم من فلسطين وأنهم جماعات هاجرت من آسيا الصغرى ، عن طريق أفريقية إلى المغرب سكنوا برقة المغرب ، الإسكندرية ، والسوس حتى جاء الإسلام ، وصفاتهم تقترب من صفات أهل آسيا الصغرى ، أكثر من أهل أفريقية. دائرة المعارف الإسلامية – ج٢ – ص ٣٢٥ ، أبن خلدون العبر ، ج٦ ، ص١٩.

[1] أبن عذار المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، بيروت ، دار الثقافة ، ص ١٢٥.

[2] أبن خلدون ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤١٢.

وبتأسيس مدينة القيروان أخذت العمليات العسكرية تأخذ طابعاً مـستقراً إذ كانت العمليات مجرد غارات استكشافية للتعرف على الأرض تقوم بها الجيـوش فتعود إلى برقة ومصر.[١]

وأشار إلى ذلك عقبة بقوله أرى منكم معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام لآخر الدهر ، [٢] ويتضح من قول عقبة أهمية مدينة القيـروان كقاعدة حربية ومركز لنشر الإسلام والثقافة العربية ، وفد إليها كثير من الصحابة وأخذوا في نشر الإسلام. وهي مشهورة بكثرة مدارسها ومبانيها في عهد المدينـة الإسلامية.

اختط عقبة بها المسجد ودار الأمارة ، وهو أول المساجد الجامعة ، وأكـد ذلك العبدري في رحلته " هو من الجوامع الكبار المتقنة الرائعة واسعة الفضاء به كثير من المؤلفات".[٣]

وهذا دليل على ازدهار الحركة الأدبية والثقافة الإسلامية.

وذكر ياقوت الحموى " أن عقبة أول من وضع المحـراب وحمـل إليـه الساريتين الحمراويتين التي لم ير الرواون مثلها[٤] فقد أخذ الـوالي يلقـب بـأمير المؤمنين على حد قول الطبري.[٥]

فهي بذلك أصبحت أهم مركز للثقافة والفنون الإسلامية فقد كانت المدارس والمراكز عاملاً مهماً في رفع شأن الإسلام. فهي قاعدة حربيـة ومركـز لنـشر العلوم.

وبذلك فهي ذات تجارة واسعة منذ عمليات الفتح الإسلامي.[٦]

بعد أن أتم عقبة بناء القيروان أتى أمر معاوية بن أبي سفيان بعزله سـنة 55هـ ، بعد عزل عقبة تولى أبو المهاجر الذي امتدت ولايته على أفريقية سـبع

---

[١] العبادي ، مرجع سابق ، ص ٤٢.

[٢] عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، ص ١٢١.

[٣] ابن عبد الله محمد العبدري الحيحي ، الرحلة المغربية ، الرباط ، وزارة الشئون الثقافية والتعليم ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٥.

[٤] شهاب الدين أبي عبد الله الحموي ، الرومي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٥٧ ، ج٤ ، ص٣٣٠.

[٥] الطبري ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص١٧٨.

[٦] العبادي. – مرجع سابق ، ص ٤٥.

سنوات وكان سياسياً بارعاً ترك العنف مع البربر ، ونشر الإسلام بـين قبائـل البربر ، ومن آثار انتشار الإسلام اعتناق زعيم البربر كسيلة الإسلام ، وأستطاع أبو المهاجر أن يصل المغرب الأوسط ويحتل مدنه وهو أول قائد عربـي يـصل تلمسان.

في سنة ٦٠ هـ توفى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وخلفه أبنـه يزيـد ، وعاد إلى الخلافة عقبة بن نافع خلفاً لأبي المهاجر دينار ، غزا عقبة بلاد المغرب الأقصى "حتى وصل المحيط الأطلسي قائلاً " يـا رب لـولا أن البحـر منعنـي لمضيت في البلاد فاتحاً أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد سواك".[1]

وتدل هذه العبارة على جهاد عقبة بن نافع في بـلاد المغـرب الأقـصى وتطلعه إلى فتح مناطق جديدة للبلاد الإسلامية.

ونستخلص مما تقدم أنه أوغل في بلاد السودان. ووصل إلى منحى نهـر النيجر ومصب نهر السنغال.

وأن عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب فتحت الطريق أمام التجار الـذي بدأوا يتجولون في بلاد السودان ووصلوا إلى منطقة تكرور وغانـا.[*] وأن عقبـة أدرك الحدود الشمالية لمملكة السودان.

ويؤيد هذا الرأي الرحالة بارث حيث يرى أن عقبة وصل بجيوشـه إلـى منطقة غانا.[2] وأن حدودها امتدت شمالاً حتى المغرب الأقصى. وهذا مـا يؤكـد الفتح العربي لبلاد السودان.

عقب هذه الفتوحات عاد عقبة إلى القيروان.

ودار معركة عند تهوذا في سنة (٦٤هـ) على رأسها زعيم البربر كسيلة فهزم المسلمين وأستشهد عقبة. ومات في هذه الأثناء يزيد بن معاوية وصـارت الخلافة لعبد الملك بن مروان سنة ٦٥هـ. فبعث مداداً لزهير بن قيس وأمره أن يستعيد القيروان دار معركة وانتهت بهزيمة كسيلة وانتصر المسلمون.[3] وعنـدما

---

[1] المراكشي ، مصدر سابق ، ص ٢٧.

[*] غانا ، بلد من بلاد السودان ، تكرور : قبائل أختلاطت بالبربر لتعريف أكثر أنظر الفصل الثالث ، ص ١٥.

[2] Barth, Travel and discoveries in North and Central Africa, London, Page ٥٧.

[3] أحمد مختار العبادي ، مرجع سابق ، ص ٤٥.

عاد إلى طرابلس اعترضته قوة بحرية فأستشهد عام ٦٩هـ ، لم ييـأس الخليفـة عبد الملك بن مروان ، فأعد جيشاً من أربعين ألف مقاتل جعل قياده في يد حسان بن النعمان سنة (٧٢هـ).[١] ويروى أبن عذار أن الخليفة عبد الملك أوصى حسان قائلاً " أني خلفت في يدك أموال مصر فأعط من معك ومن ورد إليـك وأخـرج لبلاد أفريقية على بركة الله ".[٢]

والملاحظ من هذا النص التشجيع الذي وجده المسلمون لفتح بـلاد جديـدة لنشر الإسلام.

وصل حسان إلى القيروان وأتخذها مركزاً لعملياته العسكرية وبدأ بمهاجمة الروم وأتجه نحو البربر وقتل زعيمهم كسيلة ودخل أفريقية عام " ٨٠ هـ".[٣]

عمل حسان على إنشاء قاعدة حربية في المغرب لمقاومة الخطر البيزنطي وبنى ميناء تونس شرقي قرطاجة ، وأول من وضع نواة الأسطول العربـي فـي المغرب ، وأول من أعطى المغرب طابعاً عربياً إسلامياً.

ومما تقدم نلاحظ انتشار الإسلام ، في هذه البلاد ووضع نـواة الأسـطول العربي لفتح البلاد الإسلامية من خلال القاعدة الأساسية مدينة القيروان.

واستمرار الفتوحات في مختلف أنحاء أفريقية.

في أوائل عهد الوليد بن عبد الملك عام ٨٦هـ. عزل حسان بن النعمـان وولى موسى بن نصير. وأشترك البربر في جيشه وعمد إلى الفقهاء لتعليم البربر قواعد الإسلام.

وحشد جيش بربري توغل فيه نحو المغرب الأقصى. حتى بلغ مدينة سبتة وأقليم السوس الأدنى ، ثم ساحل المحيط الأطلسي ، فعمل على إخضاع القبائـل التي ارتدت عن الإسلام.

وأشرك البربر في إدارة وفتح البلاد. وكان لإسلام قبائل البربر أكبر الأثر في بلاد المغرب الأقصى.

---

[١] المراكشي ، مصدر سابق ، ص١٢.

[٢] نفس المصدر ، ص ١٥٠.

[٣] نفس المصدر ، نفس الصفحة.

مما يؤكد أن الفاتحين هم حملة الدين الإسلامي والفقه. ومؤسسي دعائم العقيدة الإسلامية.

فقد اتصل بمواطن قبائل الملثمين وردهم إلى الإسلام وذلك عندما عين إسماعيل بن أبي عبيد الله بن أبي المهاجر الذي ثار الثورة لدى قبائل الملثمين ، وعمت سائر بلاد السوس الأدنى ، وامتدت إلى أفريقية. والملثمين هم أول من اتخذوا اللثام وتميزوا به بين الأمم.

وهم قبائل كثيرة منهم لمطة ، ترغة ، سرتة ، جزولة لمتونة ، وكالة ، هكسورة. ولكن أهم هذه القبائل لمتونة وجدالة ، مسوفة.[1] وسقطت القيروان وقامت دويلات مستقلة استطاعت أن تبسط نفوذها على المناطق محاولة إقرار السلام. ورغم أن ولاة القيروان قد فقدوا نفوذهم في المنطقة إلا أنهم عملوا على إبقاء الصلات التي تربطهم بأفريقية وبصحراء المغرب. واستطاعوا أن يعبروا الصحراء ، وينشروا الإسلام بين قبائل صنهاجة ، صنهاجة فرع من فروع الشعب البربري ومنهم البرانس والبتر ، والبرانس ينحدرون من صنهاج بن برنس ، منهم لمطه ، ترغة ، سرتة ، جذولة ، لمتونة ، مسوقة ... الخ ، ويطلقون عليهم الرحل. وهم ينحدرون من صنهاج بن برنس ، وبلغت أوج ازدهارها في القرن العاشر والثاني عشر الميلاديين ، ومن القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري. ويستقرون في المنطقة بين طرابلس وساحل المحيط. وإن قبائلهم تنتهي إلى سبعين قبيلة وأعظمهم قبائل بلكانة ومنهم أصحاب اللثام السابق ذكرهم ، وموطنهم بالصحراء ، ومنهم قبائل لمطة.[2]

فأصبح التجار يتصلون بديار الملثمين عن طريق الساحل والطريق الذي أصلحه عبد الرحمن بن حبيب عملت هذه الجهود على نشر الإسلام جنوباً ، وأكد أبن خلدون أن الإسلام أنتشر بين هذه القبائل ، منذ بداية الفتح العربي . إن الأمويين قد دخلوا إلى غانا في بداية الفتح الإسلامي . إذ أنهم أحكموا قبضتهم

---

[1] ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ ، أنظر ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج٦ ، ص ٣٣٠ ، دائرة المعارف ، ج٢ ، ص٣٢٥. وابن حوقل ، ص ٧٨

[2] دائرة المعارف ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٣٥٩. ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ١٥٢

على مراكش الغربية وشنوا هجوما على غانا مـا بـين ٧٣٤ – ٧٥٠م (١١٦ – ١٣٣هـ) لأسباب سياسية وكانت هذه الحملة هي الحملة المراكشية الأولى علـى دولة من دول غربي أفريقيا وكان أحفاد الجنود يعيشون في هذه الأرض ويعرفون بالهسنيين .

مما يدل على انتشار الإسلام في دولة غانا ، كذلك جهـود موسـى بـن نصير، وعقبة بن نافع ، فقد أنتشر الإسلام بين قبائل الملثمين ، وكان ذلك ذا أثر بالغ في تاريخ بلاد السودان ، فقد ضم حلف قوى بزعامة قبائل الملثمين بزعامة لمتونة ، بفضل الجهود التي بذلها تيولتان بن تلكان ، الذي أسلم حـسن إسـلامه الذي توجه في فتوحاته نحو الجنوب ، في ديار الزنوج.

تقدم واستولى على مدينة أودغست وأتخذ المدينة حاضرة له.[١]

فهي تحكمت في طريق التجارة بين السودان وبلاد المغرب. بلغـت هـذه المدينة أهميتها في القرنين التاسع والعاشر الميلادي ، وقامت بدور كبير في نشر الإسلام وفي تنشيط حركة التجارة ، فقد كانت هذه الجهود لها أثرها في دخـول أعداد كبيرة في الإسلام قبل القرن الحادي عشر ، أدت هذه الجهود إلى انتـشار الإسلام في غرب أفريقية.[٢] فقد كانت غانا جزء من منطقة غربي أفريقية.

يرجع انتشار الإسلام في منطقة الغرب الإفريقي إلى جهود التجار. ومـن هنا يتبين لنا الدور الذي قام به التجار في نشر الإسلام. من النـاحيتين التجاريـة والثقافية.

التجار:

لعب التجار الدور الأساسي في انتشار الإسلام في منطقة الغرب الإفريقي والتجارة هي نشاط حركي متنقل من منطقة إلى أخرى يحمل معـه محمـولات ثقافية تتأثر بالزمان والمكان فهي مؤشر لرسوخ الحياة السياسية والاجتماعية.

ونتيجة لعملية الفتح الإسلامي لشمال أفريقية انتشر الإسلام علـى طـول الطرق التجارية التي تخترق الصحراء.

---

[١] البكري المغربي ، ص ١٧٩ ، البكري المسالك ، ج٢ ، ص ٩٧٣

[٢] حسن أحمد محمود ، دور العرب في نشر الحضارة ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الثاني عشر ، ١٩٦٠ ، ص٥٤.

وذلك حدث مع توغل التجار المسلمين داخل حدود السودان فقد اتاحت طرق التجارة الوصول إلى مناطق السودان وأن حملة وصلت إلى بلاد السودان وعادت بكميات من الذهب من منطقة السنغال عام ١٠٢هـ- ٧٢٠م. هذه الحملة أسهمت في التعريف ببلاد السودان.[1] هذا دليل على نشاط الحركة التجارية منذ الفتح العربي لبلاد المغرب وأهمية بلاد السودان وما تحتويه من هذا المعدن العظيم.

ارتبط انتشار الإسلام بالحركة التجارية ، لذلك أسهمت في إثراء المؤثرات الإسلامية ، وفق التعامل التجاري فقد كان تجار المغرب ينزلون الأسواق ، والمراكز ويحتكون بالزنوج ويحتكون فيهم بأمانتهم ، ونظافتهم ، وسلوكهم الشخصي ، وكثير ما ينتهي ، هؤلاء الزنوج بدخول الإسلام.[2]

وكان ذلك يتم وفق ما تقتضيه ظروف المتاجرة الحسنة من تآلف واجتماع انتشر الإسلام بهما.

ويعتقد ترمنجنهام أن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير في طريق التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، فقد أقام التجار في قرى السودان ومدنه. فقط أعتنق سكان بلاد السودان الإسلام. لتواجد التجار الدائم في المنطقة واستطاعت القرى الواقعة على طول الطريق ، الوقوف على مزايا الإسلام فاعتنقوه حين ظل سكان الغابات على وثنيتهم.[3]

إن انتشار الإسلام يرجع إلى جهود التجار أولاً ثم إلى جهود الدولة المرابطية ثانياً حيث أن حركتهم أدت إلى تعميق العقيدة الإسلامية.

ومما تقدم نلاحظ أن انتشار الإسلام في غرب إفريقية أرتبط بإسلام قبائل البربر واعتناقها للدين الإسلامي ، كان له أكبر الأثر في المنطقة كذلك إسلام قبائل الملثمين ودورهم في الصحراء ونشاط حركتهم التجارية فهي القبائل التي عملت على تنشيط الحركة التجارية في المنطقة. وذلك لتحالف القبائل فيما بينها –

[1] إبراهيم طرخان، دولة مالي الإسلامية ، القاهرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، طبعة ١٩٧٠ ، ص ١٢٨.

[2] حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٦ ، ص ٥٥.

[3] Triningham, Islam In West Africa, London, ١٩٦٣, Page ١٧٨.

كذلك جهود الدولة المرابطية . حيث أن حركة المرابطين عملت – على تعميـق العقيدة الإسلامية - ووضعت أسس العقيدة الإسلامية – وتبع ذلك نشاط التصوف والصوفية في إفريقية. وأرست قواعد الفكر الإسلامي ، والمذهب السني السائد في دول غرب إفريقية.

الدولة المرابطية:

أصل المرابطين من صنهاجة وقد أرغمت الظروف قبائل لمتونة وجدالـة على التحالف فيما بينها وكانت لمتونة تتولى رئاسة هذه القبائل.

وكان هذا الحلف يرمي للسيطرة على ملك غانا في الجنوب والسيطرة على ممالك تجارة السودان في المغرب ، والاستيلاء على مدينة أودغست.[1] الواقعة إلى الشمال الشرقي النيجر ، ولما آلت رئاسة قبائل صنهاجة في أوائل القرن الخامس الهجري ، إلى يحي بن إبراهيم الكدالي. خرج إلى طلب العلم ، في مدارس فاس ، القيروان للاستزادة من العلوم الدينية ، فخرج في سنة ٤٢٧هـ. للحـج وارتيـاد المراكز الثقافية ، فلما عاد نزل بالقيروان وأتيح له السماع من أحد الأئمة المالكية ، أبو عمران الفاسي ، يحيى بن إبراهيم ، تأثر بتعاليم أبي عمران مـن بلاغـة ونحو وتفقه في الدين.[2] وطلب من أبي عمران أن يرسل فقيهاً يعلمهم ويرشدهم ، فأختار أبي عمران الفاس ، عبد الله بن يسين ، الجزولي ، فبدأ في تعليم النـاس وإرشادهم إلى الأصول الصحيحة في الدين والفقه ، وتـصحيح مفهـوم الجهـاد والعقيدة ، لما توفى يحيى بن إبراهيم عزم عبد الله بن يسين ، على الرحيل قاصداً بلاد السودان. وأسس رباطاً.[3]

والرباط موقع متقدم على الحدود يقصد به حماية الثغور ويمتـاز الربـاط بطابعه الحربي إضافة إلى وظائفه الدينية. ويقصد منها العبادة وتـلاوة القـرآن والتفقه في الدين. [4]

---

[1] حسن أحمد محمود ، انتشار الإسلام في قارة أفريقية ، مرجع سابق ، ص ١٠٣.

[2] عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦٠٦.

[3] نفس المرجع ، نفس الصفحة

[4] المرجع السابق ، ص١٠٤

قال تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بـه عدو الله وعدوكم"[1]

كما أن الرباط هو المكان الذي تجتمع في الخيل لمنازلة العدو والمـرابط الملازم للثغر، بقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا لعلكـم تفلحون)[2] والرباط يجمع بين الصفتين الحربية والدينية ، وكان بناء الأربطة مـن أهم الأعمال التي قام بها الأمراء.وكانوا يـرون فـي هـذه المرابطـة جهـاداً ويحرصون على أمن المسلمين ، فالربط هو حصن يقام في المكان الأكثر تعرضا لغارات العدو ، تزود بالمؤن لصد المعتدين .[3]

ومن الرباط تكونت نواة عسكرية سيطرة على المغرب بزعامة يوسف بن تاشفين ، سيطرة على فاس وأسس مدينة مراكش سنة (٤٥٤هـ ، ١٠٦٢م) جعلها عاصمة المملكة وتطلع إلى المغرب الأوسط ، واستولى على عاصمته تلمـسان ، وفي عام ٤٧٩هـ. أنتصر المسلمون على المسيحيين في الأندلس ، شـمالاً. لـم تكن انتصاراتهم مقصورة على الشمال فقد امتدت جنوباً حتى بلاد السودان. [4]

وتمكن المرابطون من الاستيلاء على كومي صالح عام ١٠٧٦م وتمكنـوا من فرض الجزية على السكان[5] وهي مدينة تقع على بعد ٢٠٥ ميلاً شمال مدينة باماكو على نهر النيجر، يرجع تأسيسها إلى حوالي عـام ٣٠٠٠[6] وهـي مدينـة يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة بها أثنى عشر مسجد بها الأئمـة والمـؤمنين والفقهاء والعلماء تحيط بها الآبار العذبة ، منهـا يـشربون وعليهـا يزرعـون الخضروات ، أما مدينة الملك تبعد عن المدينة ست أميال ، وتعرف بالغابة مبنية بالأحجار وخشب السنط ، فله قصر خاص به حوله قباب وغابات ، فيها دكـاكير معبوداتهم وقبور ملوكهم ، وبالمدينة حرس خاص لا يسمح لأحـد بـدخولها إلا

[1] الآية ، ٦٠ ، سورة الأنفال.

[2] سورة آل عمران، الآية ٢٠

[3] حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٣ ، ص ١٢٨

[4] أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ج ٦، ص ٢٢٠

[5] أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ج ٦.

[6] بازل ديفيس ، أفريقية تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد أحمد ، بيروت ، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٥٩ ، ص ٣٥٢

الملك .[1]

ومن أهداف عبد الله بن يسين إحياء تراث الإسلام ونشر تعاليمه فقد كـان يلجأ إلى ترغيب المسلمين في الدعوة فقد قسم الغنائم. وأقام بيت مـال المـسلمين فآمنوا بالدعوة الجديدة.[2]

كذلك هو الفقيه والمعلم ، درس أصول الفقه وكتاب الله وسنة رسوله ، فقد أدى ذلك إلى خلق جيل من الفقهاء الصنهاجين عرفوا بالتقوى والـورع وإنكـار الذات ، فقد تجسدت سياسة عبد الله بن يسين في إذكاء العلـم والعرفـان ورفـع الروح المعنوية. فقد تفقه في الدين على مذهب مالك ، وتعـددت مراكـز العلـم ونشطت دراسة الفقه ، وعلوم الأصول ، ونشط الاهتمام بعلم الروايـة ، وعلـم الحديث ، وعلم التصوف ، وازدهرت الحياة الفكرية.[3] من مؤلفات وأدب وشعر ، وتعددت مراكز العلم في كل من فاس ومراكش ، التي غدت مراكز ثقافية.

أسهمت الحركة المرابطية في ترسيخ العقيـدة الإسـلامية فـي دويـلات السودان الغربي ، إذ أن هذه الحركة أسهمت في ازدياد عدد الداخلين في الإسلام، وتعميق العقيدة الإسلامية.

الطرق الصوفية:

لعبت دوراً بارزاً في نشر الإسلام وإرشاد تعاليمه ، عبر عصور مختلفـة من عصور التاريخ الإسلامي ، وكانت الطريقة القادريـة مـن أنـشط الطـرق الصوفية في العالم الإسلامي.

مؤسس هذه الطريقة هو محمد عبد القادر محي الدين بن أبي صالح موسى ، المكني بأبي عبد الله ولد بجيلان ، ببلاد الفرس عام ٤٧١هـ - ١٧٧٧م.[4]

أشتهر بعلوم اللغة وآدابها على يد يحيى بن إبراهيم بن علـى التبريـزي، حتى صار شاعراً وأديباً ، ومن مؤلفاته (الفتح الرباني فتوح الغيب) جمع فيـه

---

[1] البكري ، المغرب في ذكرى بلاد أفريقية والمغرب ، مصدر سابق ، ص ٣٧١ . أنظر فيج دي جي ، تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة السيد يوسف نصر ، مراجعة بهجت رياض ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣

[2] حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص ٨٥.

[3] محمود ، ستين خطاب ، قادة فتح المغرب ، بغداد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، طبعة ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٢.

[4] دائرة المعارف الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ج١١ ، ص ٥.

بعض المواعظ وكتاب (جلاء الخاطر في الظاهر والباطن) و(لطائف الأنوار) انتشرت طريقته في جميع الأقطار الإسلامية ، ومن أهم أفكار هذه الطريقة التقييد بالشرع ، ومحاربة البدع وترك ملاذ الدنيا ، والإقبال على الآخرة.[1]

دخلت القادرية أفريقية الغربية على يد مهاجرين من توات في القرن السادس الهجري ، ومن أشهر مريديهم الشيخ أحمد البكائي ، عمل على نشر طريقته في الجزء الغربي من الصحراء ، وتعرف طريقته بالبكائية.[2]

كان نشاط القادرية ذو طابع سلمي يقوم على الإرشاد وتأثير المعلم في تلاميذه.

على أن أهم مبادئها تقوم على حب الجار والتسامح ، والنهج الصوفي الملتزم ، مثل الأخلاق والرفق في المعاملة ، وكانوا على أخلاق إسلامية طيبة ، وقد أثرت هذه في بعض مريديهم وكانوا يدخلون في الإسلام طوائف من غير المسلمين.

وكان دعاة القادرية يختلطون بأهل غرب أفريقية من الوثنين. فيؤثرون بمعاملتهم وسعة صدورهم ، فكانت مجالس الوعظ والإرشاد التي يعقدها الأئمة من الأقطاب. كانت مجالس عامة ، يعقدها المسلمون. ويحضر فيها غير المسلمين. فيسمعون الشيخ في مواعظه. حتى يتبعونه في عقيدة التوحيد.[3]

وكان دور الطرق الصوفية فعال بترسيخ العقيدة الإسلامية ونشر تعاليم الدين الإسلامي ، في منطقة الغرب الإفريقي.

---

[1] نفس المصدر ، ص ٦٢٣.

[2] أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢١٣.

[3] محمد أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٣ ، ص ١١٧.

التجارة في شمال بلاد المغرب العربي

اتسع النشاط التجاري بين بلاد المغرب وبلاد جنوب الصحراء ، ووجـود مراكز تجارية رئيسية ساعدت على النهوض بالحياة العامة. وهي بطبيعة الحـال مراكز تجارية حضارية أسهمت في نقل المعارف والتجارب والخبرات.

لم تكن الصحراء تشكل عائقاً لهذا الاتصال ، فقد كانت الأسس الأولى لهذا الاتصال : التجارة وتبادل المنتجات ، وهي تخدم مصالح التجار من بلاد المغرب وتجار بلاد السودان وتشكل عاملاً مهماً لتطور كل منهما. وذكر أبن خلدون " أن عدد القوافل التي ترد إلى بلاد السودان بلغ أثنى عشر جملاً".[١]وهذا ما يؤكد كثرة القوافل التي ترد إلى بلاد السودان وكثرة البضائع التي تنقلها هذه القوافل. وكثرة التجار المسلمين العاملين في التجارة بين شمال أفريقية والسودان الغربي. [٢]

وقد مثلت التجارة في بلاد المغرب في القرن الثالث الهجري والرابـع – التاسع والعاشر الميلادي قمة التطور التجاري في بلاد المغرب بأقسامها الـثلاث المغرب الأدنى ، والأوسط ، والأقصى. ومراكزها التجارية التي مثلت المراكـز الشمالية الأساسية التي ازدهرت فيها التجارة منذ عمليات الفتح العربي الإسلامي للمنطقة. وبلاد المغرب تتضمن الأقاليم غرب مصر.

وتشمل الأقاليم شمال القارة الأفريقية ، وتتضمن الولايات الليبية برقـة – طرابلس – فزان – تونس – الجزائر ، المغرب الذي كان يعرف باسم مراكش.[٣] ويمتد إلى منطقة السنغال والنيجر جنوباً.[٤]

أما بلاد المغرب الأدنى ، فتمتد حدودها فتشمل برقة طرابلس فزان ، وهي أول بلاد المغرب الأدنى ، برقة من جهة الشرق وهي جزء لا يتجزأ من المغرب الإسلامي ، وذكر ابن حوقل أن بلاد المغرب تمتد من مصر إلى برقة.[5] أما بلاد أفريقية فتمتد من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً وهي البلاد التونـسية مـع بعـض

---

[١] ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج٦ ، ص ٤٠٥

[٢] عبد القادرة زيادة ، صنقى على عهد الأسقيين، مرجع سابق ، ص٢١١-٢١٢.

[٣] سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ٣١.

[٤] أبو القاسم بن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ، بيروت ، ١٩٦٢م ، ص ٦٤.

[5] سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب ، مرجع سابق ، ص٣٢.

الأجزاء الغربية لولاية طرابلس والتخوم الشرقية لبلاد الجزائر حتى وادي ملوية .[1]

المغرب الأقصى: يحده شمالاً البحر الأبيض المتوسـط وبـلاد غمـارة. وغرباً حتى جبال درن – وعاصمتها مراكش.[2] وأشار صاحب كتاب الإستبصار ، واصفاً منطقة غمارة بأنها كثيرة الخصب ، كثيرة الزرع بها جبل حصين مبني بالحجارة سكنته أمم كثيرة لا تحصى به آثار كثيرة ، وبه أعناب والفواكه.[3]

وتتمثل أهمية بلاد المغرب الأقصى الأساسية في أنها تمتد جنوباً إلى بلاد السودان ، وأن أطراف بلاد المغرب الأقصى غرباً جبال درن وامتدادها جنوبـاً صحراء تنتهي بدولة بغانا.[*]

وتمثل ذلك في الصلات التجارية الأولى منـذ عمليـات الفـتح العربـي الإسلامي ، إذ كانت أولى المراكز التجارية على طرق الصحراء (تتصل مدينـة) بمدن المغرب الأقصى. وأشار كثير من المؤرخين مثل أبن حوقل الـذي سـبق البكري في أن المراكز التجارية الأولى ببلاد المغرب الأقـصى هـي المـداخل الأساسية لحوض السنغال والنيجر. وشرقاً ارتبطت كذلك ببلاد المغـرب الأدنـى والأوسط. وأورد الحميري الذي نقل عن البكري. فـي وصـفه لهـذه المراكـز التجارية.

المراكز التجارية:

بلاد المغرب الأدنى:

القيروان:

القيروان هي أعظم مدينة بالمغرب ترجع أهميتها منـذ عمليـات الفـتح الإسلامي.[1] وقد ذكرها صاحب الروض المعطار بأنها أكثر المدن بشراً وأيسرها أموالاً وأربحها تجارة وأكثرها جباية.[2]

---

[1] وادي ملوية ، نهر من أنهار المغرب الأقصى ، ينبع ويجري في اتجاه المغرب الأوسط ، ينبع من جبال تازا جنوبي غربي بلاد المغرب – ابن حوقل ،ص ٥٥ ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢

[2] المرجع السابق ، ص٣٣.

[3] الإستبصار في عجائب الأمصار ، مصدر سابق ، ص٢٥.

[*] غانا ، دولة من دويلات السودان الغربي ، أنظر الفصل التالي.

وقوله أربحها تجارة دليل على أهميتها التجارية. في التجارة الصحراوية بينها وبلاد السودان. وقد ذكرها أيضاً الإدريسي بأنها قاعدة أقطار وأم أمصار أكثرها بشراً وأربحها تجارة. وهذا دليل على انتعاش الحركة التجارية بها وكثرة السكان. لما أورده الحميري والإدريسي في ذكر هذه المدينة.

فقد أنشئت في القيروان نظام الشركة والوكالات التجارية في ميدان التجارة المحلية ، وأن التجارة في القيروان مرتبطة بالفلاحة وتتاجر القيروان في تجارة المواد الغذائية.[٣]

ولها أهميتها في حركة النقل التجاري وأنها تمثل نقطة انطلاق في ضبط المسالك وتحديد المسافات فهي أهم مركز مغربي في حركة النقل التجاري. فهي تمثل نقطة التقاء بين النقل البري والبحري بين المغرب والمشرق المغرب أهميتها في التجارة المتوسطية. وقوافل التجارة الصحراوية ، وعلاقتها ببلاد السودان تعود إلى بداية القرن الثاني الهجري وأن الصائغ القيرواني كان يرسل إنتاجه إلى بلاد السودان.

فقد كانت القيروان نقطة لقاء مع المراكز التجارية منذ القرن الثاني.[٤] لكن تطورت خلال القرن الثالث الهجري وأسهمت في نهضة المراكز التجارية الأخرى ببلاد المغرب الأوسط والأقصى. فقد كانت مصدر الثروة لعدد من تجارة المدينة.

وتمثلت مصادر ثروتها في التطور العمراني. وذلك بقصورها المطلة على البحر وأسواقها وانتعاش تجارتها.

فقد أشار إلى ذلك القلقشندي بقوله لها قصور مطلة على البحر ، وهي سوق وبها جميع المتاجر والصناعات.[5]

---

[١] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٠١. أنظر الفصل الأول.

[٢] محمد عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٥٧ ، ص ٤٨٧.

[٣] الحبيب الجنحاني ، المغرب الإسلامي ، الجزائر ، الدار الوطنية للنشر ، ص ٥٤.

[٤] نفس المرجع ، ص ٥٩.

[5] القلقشندي ، مصدر سابق ، ص ١٠٣.

وأكد ذلك حسن حسني عبد الوهاب في كتابه ورقات عن الحضارة التونسية بأنها مدينة كثيرة العمران.[١] وكثرة العمران يدل على مظاهر الثراء الناتج من حركة التجارة بها. وهذا يؤكد أن النشاط التجاري وراء تطور المدن وازدهارها. وتجمع الثروات المالية لدى الفئات الاجتماعية طبقات المجتمع ومما ينعكس على التطور العمراني.

سوسة :

من مدن المغرب الأدنى مدينة صغيرة ببلاد المغرب الأدنى ، من نواحي أفريقية وهي تقع جنوبي تونس بها سوق وفنادق وهي عامرة وعليها سور وهي قليلة العمارة.[٢]

ودليل على ازدهار سوقها قول ابن حوقل " بأنها مدينة طيبة ، أهلها موفورون ، عقولهم وافرة ، لهم غلات حسنة ورباطات كثيرة".[٣]

وأن لها غلات حسنة تنعش الأسواق وبسوسة أسواق تمثل معامل للصناعات اليدوية ، يشتغل أربابها بتحويل المواد الأولية إلى منسوجات صناعية. وأهمها حياكة الأقمشة. أما القسم الثاني فيشمل أسواق البيع المعدة لعرض المصنوعات المحلية ويؤكد ذلك البكري بقوله " أن بسوسة أسواق كثيرة مخصوصة بكثرة الأمتعة".[٤]

وعرفت مدينة سوسة بأن بها فقهاء وأدباء محدثون ويسكنها قوم من أهل العبادة والعلم فيها جامع كبير. وهذا دليل على كثرة الرباطات بها. وهي مطلة على البحر الأبيض المتوسط ، لذلك لها ارتباط تجاري مع دول أوربا.[5] فهي مدينة تجارية وثقافية أيضاً.

صفاقص:

هي ميناء في بلاد تونس وهي محاطة بأسوار عالية لها تجارة مهمة عبر

---

[١] حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة التونسية ، تونس ، مكتبة المنار ، طبعة ١٩٦٦ ، ص ٦٨.

[٢] القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ص ١٠٣.

[٣] ابن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص ١٠٤.

[٤] أبو عبيد الله البكري ، المسالك والممالك ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص ٣٤.

[5] دائرة المعارف الإسلامية ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٢٢٦.

البحر الأبيض المتوسط مع بلاد مالطة وصقلية في أوربا. يقصدها التجار بالأموال من مختلف الجهات.[1] اشتهرت بتصدير زيت الزيتون فهي وسط غابة ومن زيتها يمتار أهل مصر والمغرب وصقلية.[2] على حد قول صاحب الإستبصار.

فهي مدينة تجارية في المقام الأول وتجارتها مع بلاد البحر الأبيض المتوسط مالطة وصقلية. ومصر في أقصى الشرق والوسيط لهذه التجارية مدينة القيروان. ومن صفاقص إلى القيروان مسيرة ثلاثة أيام منها إلى الأجزاء الشرقية حيث تتم عملية التجارة. وترجع أهميتها التجارية لوجود بعض أنواع التمر ويدل ذلك على انتعاش الأسواق بها.

غدامس:

مدينة في أول الصحراء ، جليلة عامرة أهلها قوم من البربر مسلمين بها الجلود المفصلة.[3]

إليها ينسب الجلد الغدامسي ، أرضها خصبة عامرة وأنها قديمة بأفريقية اشتهرت منذ القدم بالتجارة مع مختلف بلاد مصر مبانيها كانت سجون الملكة الكاهنة بأفريقية. وهي مدينة قديمة بها كهوف أكثر طعام أهلها التمر.[4]

ترجع أهمية غدامس التجارية إلى كونها وطن لقبائل الملثمين وتمتد من جبال درن حتى مصب نهر السنغال فقد سيطرت على التجارة في المحيط الأطلسي ، فهي مدينة تجارية هي مدخل بلاد السودان.

تلاحظ أن بلاد المغرب الأدنى ازدهرت بفضل البضائع الصادرة والواردة ، وتمثل القيروان المركز الأساسي للتجارة الذي ربط شرقاً البلاد المصرية وغرباً بلاد المغرب الأوسط التي بدورها أصبحت مراكز تجارية نشطة ذات صلة بمختلف أجزاء العالم الإسلامي جنوباً وشمالاً.

---

[1] نصف المصدر ، ص ٧٢٧.

[2] الإستبصار في عجائب الأمصار ، مصدر سابق ، ص ١١٦.

[3] الحميري ، الروض المعطار ، مصدر سابق ، ص ٣٢٥.

[4] نفس المصدر ، نفس الصفحة.

بلاد المغرب الأوسط :

اشتهرت بالعديد من المراكز التجارية وأهمها:

تلمسان:

هي مدينة في أول الصحراء وهي دار مملكة زناتة.[١] وحواليها قـوم مـن البربر وهي كثيرة الخصب والرخاء ، مزارعها كثيرة ، أشار إليها صاحب كتاب الإستبصار (أنها مدينة عظيمة فيها آثار كثيرة وهي دار لأمم سالفة فهـي مدينـة علم وخير ، وهي دار للعلماء والمحدثين.[٢]

بجاية :

مدينة مرتفعة على البحر أهلها تجار لها بوادي ومزارع بها أنواع مختلفة من الثمار هي مدينة تحف بها البساتين موقعها على البحر جعل لها أهمية تجارية فهي دار لصناعة السفن والمراكب.

تاهرت:

تعتبر تاهرت مركز تجاري في القرن التاسع الميلادي ، فهي نقطة إلتقـاء بين المغرب والمشرق الإسلامي ، وسواحل البحر الأبيض المتوسط ، فهي ملتقى القبائل الرحل التي تأتي لبيع الماشية ويصفها أبن حوقل (بأنهـا أحـدى معـادن الدواب والغنم والبغال).[٣]

ذكرها صاحب الإستبصار بأنها قلعة حصينة في جبل خصيب به بـساتين وأشجار ومزارع ، فهي مصدر تصدير اللحوم إلى المغرب ، والأندلس ، كـذلك قربها من مراكز زراعة الحبوب ، وحركتها التجارية لمـوانئ البحـر الأبـيض المتوسط.

أما أنواع البضائع المتداولة فتشمل الـصوف ، الجلـد ، تمـور واحـات الصحراء ، وجود الصوف والجلود دليل على وجود الماشية بها.[٤]

---

[١] زناتة: قوم من البربر كانت لهم تجارة على طرف الصحراء.

[٢] الإستبصار ، مصدر سابق ، ص ١٧٧.

[٣] أبن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص ٨٦.

[٤] الإستبصار ، مصدر سابق ، ص ١٧٩.

أما الثمار الأخرى فيؤكد وجودها أبو عبيد الله البكري (إنها مدينة مسورة بها جميع الثمار فهي كثيرة البرد والغيوم). فهي خزان العراق الصغير.

فهي كذلك مدينة ثقافية ازدهرت بها الحياة الثقافية فهي مهد لعلوم الـدين وشئون الدعوة.

أسهمت بلاد المغرب الأوسط في اتصالها ببلاد الشمال وبـلاد الـسودان جنوباً عبر المراكز التجارية في بلاد المغرب الأقصى.

بلاد المغرب الأقصى:

المراكز التجارية:

سلجماسة:

هي من أهم المدن التجارية في بلاد المغرب الأقصى فهي تقع في ملتقـى طرق تجارية شمالاً إلى بلاد الأندلس وجنوباً إلى بلاد الـسودان. فهـي مركـز تجاري عالمي فالتجارة هي مصدر الثروة في المدينة وقد أشار إلى ذلك (يـاقوت الحموي: أن أهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالاً ، لأنهـا تقـع علـى طريق بلاد السودان التي بها معدن الذهب ، ولأهلها جرأة على دخولها).[1]

وتجارتها مزدهرة لارتباطها بالشمال وتنوع مسالكها من سلجماسـة إلـى تلمسان وتاهرت والقيروان والساحل التونسي ، إلى طـرابلس وبرقـة ومـصر والمشرق الإسلامي ، ثم غرباً إلى مدن ساحل المحيط الأطلسي. وشـمالاً مـدن ساحل البحر الأبيض المتوسط ، بالإضافة إلى ذلك هي مركز تجاري نشط مـع بلاد السودان إذ تجتمع القوافل بها للتجارة.[2] على حد قول ياقوت.

وأكد صاحب الروض المعطار أن هذه المدينة (كثيـرة العـامر مقـصد للصادر والوارد ، كثيرة الخضر والجنات لها قصور وعمارات متصلة ، علـى نهر يأتي من جهة الشرق في الصحراء يتجهز منها إلى سائر بلاد المغرب).[3]

ومن هذا يتضح أن هذه المدينة كانت في أوج نـشاطها التجـاري بقولـه

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٣١.

[2] الحبيب الجنحاني ، مرجع سابق ، ص ١٧٩.

[3] الحميري ، الروض المعطار ، مصدر سابق ، ص ٣٠٦.

(مصدر للصادر والوارد).

ومن صادرات سلجماسة - التمور ، القمح ، الثمار ، الزبيب ، المنسوجات ، النحاس. كل هذه المنتوجات كانت تصدر شمالاً وجنوباً.

لكثرة صادرات سلجماسة ووارداتها وصفها أبن حوقل بأن هذه المدينة وسكانها من المياسر بقوله (وسائر أرباب البلد ودونهم في اليسار وسعة الحال).[1]

وامتاز تجارها كذلك بالثراء العريض كلما يتصف به دونهم في العالم الإسلامي ، للدوام ترد القوافل التجارية إلى بلاد السودان وذكر السلاوي الناصري (أن تجار المغرب العربي كانوا يجتمعون في سلجماسة حاضرة بنى مدرار.[2] وكانوا يقطعون المسافة في ثلاثة أشهر وكانوا يبيعون ما معهم من الأمتعة بالتبر).

ومن قول السلاوي الناصري نرى أن هذه المدينة كانت في أوج نشاطها التجاري ويجتمع بها التجار المغاربة ووارداتها تشمل الذهب. القادم إليها من جهة بلاد السودان.[3] ويحتل الذهب المكانة الرئيسية في صادراتها نحو الشرق والشمال بلاد الأندلس عبر الموانئ الرئيسية في البحر الأبيض المتوسط ويمثل ميناء تابحديت على شواطئ البحر الأبيض المتوسط من الموانئ الشهرية في تصدير البضاعة الواردة من سلجماسة ، يقول الحميري هي (محط للسفن ومقصد لقوافل سلجماسة).[4]

لم ينحصر نشاط سلجماسة في الزراعة والتجارة فحسب كذلك أشتهرت بالغزل والنسيج ، الوارد إليها من أشبيلة من بلاد الأندلس ويؤكد ذلك الحميري في حديثه عن أشبيلة (والقطن يجود بأرضها ، ويعم بلاد الأندلس ، ويتجهز به التجار إلى أفريقية وسلجماسة وما والاها).[5]

---

[1] أبن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص ٣٠٦.

[2] مدرار: رجل من أهل الحديث ، لقب بأفريقية عكرمة بن مولى وسمع منه ، وكثير ما كان يقصد سلجماسة ، فاجتمع اليه قوم بربر لتك النواحي ، قدموا لأنفسهم مدراراً. فشروعوا في بناء سلجماسة – أنظر الإستبصار في عجائب الأمصار.

[3] ناصر السلاوي ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج ٥ ، ص ٩٩-١٠٠.

[4] الحميري ، مصدر سابق ، ص ٥٩.

[5] نفس المصدر ، نفس الصفحة.

اتسعت سلجماسة في علاقتها التجارية. عبر الصحراء إلى بلاد السودان وغانا وأودغست وحوض نهر النيجر إذ أصبحت تقوم بدورها الفعال في صادراتها نحو بلاد السودان والشمال الأفريقي.

درعة:

من مراكز المغرب الأقصى ، هي مدينة عامرة آهلة بها جامع وأسواق ومتاجر وأجود الأسواق دليل على نشاط الحركة التجارية بها وكثر الوافدون إليها من سلجماسة.

بها أشجار النخل وشجر الحنا الذي يدبغ به الجلد الغدامسي.[1]

وذكر البكري (أن مدينة درعة جمعت مختلف أنواع السلع ، إلى جانب الغزل والنسيج الذي تصنع منه أنواع الملابس المختلفة وأنه رأي تاجراً قد أتى منها ببعض الكساء).[2]

تأتي أهمية درعة في كونها مدخل لبلاد السودان فهي تقع في منطقة صحراوية ذات مسالك ومفاوز. ويذكر أبن حوقل أن بين المغرب وبلاد السودان مغاور وبراري متقطعة قليلة المياه متعذرة المراعى لا تسلك إلا في الشتاء ، وسالكها متصل السفر دائم الورود ، والصدور)[3] أي طريق تجارة الذهب مع أودغست وغانا على وجه الخصوص.

كذلك من مراكز المغرب الأقصى التجارية ، مدينة أغمات.

أغمات:

مدينة بالمغرب بالقرب من وادي درعة تقع على الساحل شمال جبال أطلس: غرب سلجماسة مسيرة عشرة أيام ، موقعها قريب من الساحل فهي تقع على ميناء رباط فوز فهي ملتقى سفن تجارية. ويقع الميناء على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

ويمثل الميناء ملتقى جماعات ثقافية وتجارية متباينة لاختلاف الأجناس

---

[1] أبو عبيد الله البكري ، المغرب ، مصدر سابق ، ص ١٤٩.

[2] الحميري ، الروض المعطار ، مصدر سابق ، ص ٢٣٩.

[3] ابن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص ١٠٠.

التي ترد عبر حركتها التجارية فهم محل فئات تضم مختلف الأجناس. أسهموا في النهضة الأدبية وحركة التجارة.

بلغت أوج ازدهارها في عهد دولة المرابطين. كانت أسواقها حافلة بأنواع السلع المختلفة براً وبحراً.[١]

أهلها تجار مياسر يدخلون السودان بقناطير بالأموال من النحاس الملون ، والذكية وثياب الصوف والزجاج ، والعطر والآلات ولأهل أغمات منـازل تـدل على مقادير أموالهم ، موقعها على الساحل أدى إلى استقرار جماعات مختلفة من التجار بها.

انتهى دور أغمات التجاري بعد زوال دولة المرابطين ولكنها حافظت على موقعها التجاري عبر الصحراء ومراكزها التجارية عبر الصحراء.

أودغست:*

أهم المدن ببلاد المغرب الأقصى وتقع على صحراء بلاد السودان ، وبهـا أمم كثيرة لها بساتين كثيرة ونخل وهي مدينة كبيرة يتألف سكانها مـن مختلـف قبائل المغرب.

ويشير إلى ذلك حسن إبراهيم حسن (هي مدينة يتألف سكانها من عـرب المغرب وحلفائهم في أفريقية) وحلفائهم يتمثلون في زنوج بلاد السودان.[٢]

متصلة بشبكة المسالك التجارية الرابطة بين بلاد السودان ، وبلاد المغرب ، ومتصلة عن طريق المراكز التجارية المغربية ، وبالمشرق الإسلامي من جهة أخرى ، وأهم مسلك هو الذي يربطها بسلجماسة فهي عن طريقها يتصل نشاطها بموانئ البحر الأبيض المتوسط وبالمغرب الأوسط ، وأفريقية ، ثم المشرق فهـي حلقة وصل بين بلاد السودان من جهة والعالم الإسلامي من جهة ثانية.

مياهها وفيرة مما يسمح لها بزراعة محصولات مختلفة منها البلح والقمـح والتين. وكانت مخزناً من الذهب الذي تستورده من السودان. ليعاد تصديره إلـى

---

[١] نفس المصدر ، ص ١٦٥.

* هي مدينة تجارية وثقافية ، بها أسواق عامرة بالبضائع الواردة والصادرة ، وأهلها مسلمون يقراءون القرآن ، لهم مساجد وعمارات ، على حد قول ياقوت الحموي: فهي تشتهر بكثرة أسواقها ، على إنتعاش الحركة التجارية بهذه المدينة.

[٢] حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في قارة أفريقية ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣، ص ٢١٥.

المغرب أما الواردات فقد شملت القمح والفواكه والنحاس جميعها من الشمال.

وصف البكري أسواقها العامرة ، وكثرة تجارها مـن القبائـل البربريـة والمسلمين في الشمال الأفريقي.

لذلك فهي مدينة ذات أهمية في بلاد الصحراء.

تأتي أهمية بلاد المغرب الأقصى في أنها ساهمت في إثراء التجارة بـين السودان وشمال أفريقية إذ أن مناطق الصحراء ، وبلاد المغرب الأقصى كانـت مواطن قبائل لمتونة وهي سيطرت على الطريق التجاري الهام الذي يسير بساحل المحيط الأطلسي ويربط مدينة سلجماسة. وأن ديارهم تمتد مسيرة شهرين طـولاً وعرضاً ، طولاً تصل إلى مناطق المغرب الأقصى.

سيطرت قبيلة جدالة على الطريق الحيوي لتجارة السودان بين أودغـست في الجنوب وسلجماسة في الشمال.

أما جدالة فموطنها بالقرب من أودغست وطريق سلجماسة لذلك استطاعت أن تسير متاجرها عبر الطريق وتجنى أرباحاً طائلة. لأنها أقـرب إلـى قبائـل الملثمين وبلاد السودان.

تأتي أهمية بلاد المغرب بمختلف أقسامها في أنها تعتبر المراكز الـشمالية التي غزت تجارة بلاد السودان جنوباً وساهمت فـي إثـراء الحركـة التجاريـة وتطورها في دويلات بلاد السودان.

عبر صادراتها المختلفة لبلاد السودان. مما ساهم في إثراء الحركة التجارية فـي دويلات السودان الغربي ، غانا – مالي – صنغي – حتى القرن السادس عـشر الميلادي.

التجارة في بلاد السودان

يعتبر السودان الغربي من أهم المناطق الجغرافية تـأثيراً علـى المنطقـة الأفريقية. وأن المؤثرات الأولى قد انتقلت منذ البواكير الأولى للعصر الإسلامي ، وانتشار الإسلام له تأثير كبير في تطوير حياة الشعوب الإسـلامية فـي غـرب أفريقية.

بكونه يقع في منطقة تأثيرات حضارية متنوعة. إذ يجاوز من ناحية الشمال بلاد المغرب العربي ، وغرب أفريقية بمراكزها التجارية أصبحت مراكز حضارية تمثل جسر العروبة وثقافتها والمزيج الثقافي الذي أحدثه العرب والمسلمون مع الثقافات المحلية مما جعل له أكبر الأثر في الجوانب الاقتصادية والثقافية. مما أدى إلى انتعاش الأسواق ونشاط الحركة التجارية ، أصبحت في أوج ازدهارها ، الانتعاش الاقتصادي ساهم بدوره في الجانب الثقافي. فالاقتصاد أسهم في انتعاش الحركة التجارية فبالتالي أوجد جواً من الفكر والإنتاج الأدبي الزاخر في منطقة الغرب الإفريقي.

إذ أن الصادرات المتمثلة في أجود أنواع الذهب والواردات من الشمال الإفريقي عبر مراكزها التجارية السالفة الذكر أسهمت في الثراء والانتعاش الاقتصادي. للمنطقة ولمزيد من التدقيق نبحث العلاقات التجارية في الدول والممالك التي شملها السودان الغربي ، غانا ، مالي ، صنغي ، حتى القرن السادس عشر.

دولة غانا :

تشمل حدود دولة غانا جنوب موريتانيا وشرقي السنغال وهي المنطقة الممتدة من نهر السنغال والنيجر.[1]

واسم غانا في الأصل لقب للملك. وهي مدينة كبيرة متصلة ببلاد السودان.[2]

يطلق أسم " أوكار " على المنطقة وهو اسم أطلقه البربر على منطقة أوجادوم فعرفت به.[3] وأهم القبائل التي كونت دولة غانا هي قبائل السوننك ، وهي فرع من قبيلة الماندي الرئيسية في غرب أفريقية. وأول حكومة قامت في غانا من البيض وأن بعض المهاجرين جاءوا من (الشرق) ومن شمال أفريقية من برقة بصفة خاصة واستقرت هذه الجماعة في منطقة أوكار . اختلطت هذه الجماعة

---

[1] أبن سعيد ، بسط الطول والأرض ، ص ٢٤٢.

[2] الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٣٣٠.

[3] أوجادو ، المنطقة الرملية غير المأهولة بالسكان ، طرخان ، مرجع سابق ، ص ١٣.

بالوطنين الذين عاشوا بينهم وظهر زعيم أسمه " كاز " أستطاع أن يؤسس دولـة غانا ، وأن حكام غانا من البيض من البربر الذين اختلطوا بالزنوج.[1] وصلة قبائل البربر ببلاد السودان قديمة ترجع إلى الفتح العربي لبلاد المغرب.

وكان نزوح هذه القبيلة أقرب إلى الهجرة السلمية اختلطت هذه الجماعـة بالوطنيين من السوننك حتى تغير لونها بطول الزمن . وأن هؤلاء البيض مـن السوريين واليهود الذين يقيمون في برقة وأنهم الذين أسسوا حكومة غانا الأولى ، والراجح أن أصل غانا من البيض أي لها أصول شرقية ، وأن الهجرات كانت تتم منذ قديم الزمان من المنطقة العربية نحو الشـمال الأفريقي [2] .

وأن عاصمة غانا ازدهرت في حكومـة البـيض الأول ، وأن العاصـمة كومبي صالح بنيت عام ٣٠٠م ، وأن حي إسلامي قام بهذه المدينة .

وقيل أصلهم من الصنهاجة ، وأصلهم ونسبتهم إلى أسكع وهو لقب سوداني أي أن لهم أصول ترجع إلى الأصول العربية.

وأن مدينة أودغست حكامها من البربر البيض فقد ساهمت هذه المدينة في نشر الإسلام وتنشيط حركة التجارة بين السودان وشمال أفريقية.

وهذا ما يؤكد أن سكان هذه المدينة والعناصر المكونة لهذه المملكـة ذات صبغة عربية خالصة.

وأن الذين وفدوا وأعانوا على قيامها اختلطوا بالسكان الأصليين ممـا أدى إلى نشاط التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها وكانت عبـر ممـرات تختـرق الصحراء ، وكان التجار يحملون الأقمشة والحلى ويعودون بالذهب وكانت السلعة التي اشتهرت بها دولة غانا.[3] وأن ملوكها يسمون كيمع أي ملوك الذهب.[4]

موقع دولة غانا ساعد على قيام حركة تجارية وسيطرة على طرق القوافل التجارية ذهاباً وإياباً محملة بالذهب ، الذي يشكل القوة الاقتصادية الأولى في دولة غانا.

---

[1] عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي ، تاريخ السودان ، بردين ، آمجني ، ١٨٩٨م ، ص٩.

[2] إبراهيم علي طرفان ، غانا في العصور الوسطى ، القاهرة ، المجلة التاريخية المعربة ، ١٩٦٧ ، ج٣ ، ص ٤٠

[3] رولاند أليفر فيج ، مؤجز تاريخ أفريقية ، ترجمة ، دولت أحمد صادق ، القاهرة ، بدون طبعة ، ص ٣٤.

[4] الفتاش ، تاريخ الفتاش ، مصدر سابق ، ص ٤١.

طرق القوافل التجارية:

طرق القوافل عبر الصحراء تشكل المسالك الأساسية لصادرات الـشمال ببلاد المغرب إلى منطقة الغرب الأفريقي ، وأهم طرق القوافل التجارية تخـرج من فاس ، مراكش ، تلمسان ، القيروان ، حيث يتم التبادل التجاري مع دولة غانا وتعود محملة بالموارد من عاج وذهب.

وأهم طرق القوافل التجارية الطريق الذي يتجه من مراكش إلى المنحنـى الشمالي للنيجر ، والطريق الغربي صوب المحيط الأطلسي، وطريق وسط واتجاه تونس ومن الطرق طريق الصحراء الذي يربط الصحراء الكبرى بجنوبها طريق سلجماسة ، وهو الطريق الذي يؤدى إلى مناجم الذهب في السنغال والنيجر.[1]

أيضاً الطريق من سلجماسة إلى أغمات حيث يمتد إلى وادي درعة ، ومن وادي درعة إلى أغمات ، ومن حيث تعقد بها أسواق في مواقع مختلفة.

تعتبر الحركة التجارية في أوج ازدهارها عبر هذا الطريق وجود الأسواق دليل على انتعاش الحركة التجارية.

الطريق من مدينة أغمات إلى فاس عبر نقاط صغيرة إلى سلجماسة.[2]

الطريق من أودغست إلى سلجماسة ومن أودغست إلـى تادمكـت منهـا أربعون مرحلة. ومن تادمكت إلى سلجماسة وبين أودغـست والقيـروان عـشر مراحل.

أهم هذه الطرق الطريق من وادي درعة إلى صحراء بلاد السودان وهـو الطريق الذي يتجه رأساً إلى مدينة غانا ، وهو أول طريق يمـر بمدينـة أويـل وتكرور في جنوبي غربي غانا ، ومن وادي درعة إلى تاجا فـي أول صـحراء بلاد السودان . ومنه إلى بلاد غانا.[3]

أصبحت طرق القوافل تمثل الطريق الأساسي لصادرات دولة غانا إذ يمثل الذهب المصدر الأساسي للصادرات لم يكن الذهب موجوداً بأراضيها وإنما فـي

---

[1] Bovil, Golden Trade of Moree, Page, ٣٠ نقلاً عن جمال زكريا قاسم ، العلاقات العربية الأفريقية ، معهد القاهرة ، البحوث والدراسات ، ١٩٥٧ ، ص ١٥٧.

[2] البكري ، المسالك والممالك ، بغداد ، مطبعة المثنى ، ١٨٥٧ ، ص ٥٤.

[3] البكري ، المغرب ، مصدر سابق ، ص ١٥١١.

الأرض بالقرب منها. الموجودة إلى الجنوب من منطقة ونجارا. وتطلق كلمة ونجارا على كل القادمين منها ، وأطلق على قبائل الماندنجو ولاسيما الجولا والسوننك.

وتشمل أربع أقاليم بامبورك ، بافتح ، فاليمي ، بور عند لوبي وأشانتي.[1]

وونجار هي قبائل السوننك والجولا والجيم والنون وهي اختصار للكلمتين أو القبيلتين – تحت أسم ونجارا.

أرضها كلها ذهب وأهلها يستخرجونه – ويصفونه كاللبن ويسافر إليها التجار من سلجماسة في مسيرة أثنى عشر يوماً.[2]

وبدولة غانا الذهب ظاهر على الأرض في جزيرة نجارا وهي جزيرة كبيرة . وأكد ذلك الحميري بقوله (فيجد فيها ما أعطاه الله قليلاً أو كثيراً من التبر ، أو تاجر بعضهم فأشترى أهل المغرب الأقصى ، وهي بلاد معمورة مشهورة التبر بأيديهم كثير والخيرات مجلوبة من أطراف الأرض وأقاصيها).

وتمثل جزيرة ونقار المركز الأساسي لذهب منطقة غرب أفريقية ، فقد قام ملوك غانا وتجارها بين المنتجين في الجنوب وبين التجار في المراكز الشمالية.

وأكد ياقوت الحموي ، أن مدينة غانا يجتمع بها التجار ومنها يدخل إلى بلاد التبر.

غانا مدينة ذات أشجار عديدة واسعة الأرجاء ، تزينها أشجار النخيل والحناء مليئة بالأشجار الجميلة والأبنية القوية والأسواق.[3] وجود الأسواق دليل على انتعاش الحركة التجارية بهذه المدينة التي احتوت خزائنها الملكية ألواح الذهب ، وكان الملك يزين بها حصانه وقصره ، وامتازت بالشهرة في العالم الإسلامي ، وأن أحد المصريين أشترى كتلة الذهب الكبرى التي كان ملوك غانا يحتفظون بها في قصورهم.[4]

---

[1] إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٣.
[2] تاريخ أبن الوردي ، نقلاً عن إبراهيم طرخان ، ص ١٥٨.
[3] البكري ، مصدر سابق ، ص ١٥٧.
[4] زاهر رياض ، الممالك الإسلامية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء ، مرجع سابق ، ص ١٠٩.

ويستخدم الذهب في المراسم والاحتفالات ومواكب السلطات وكان المجلس يجلس للفصل في القضايا بين رعاياه يجلس على ديوان تحف به خيول من ذهب، يقف ورائه عشر من الأتباع ، يحمل درع وسيف مقبضه من ذهب يقـف أبنـاء الأمراء ، عليهم ملابس رائعة وشعورهم مضفرة بالذهب، عامل المدينة بجانـب الملك وحوله وزراؤه جالسين.[1]

هذا دليل على ثراء دولة غانا وما تميزت به باستخدام الذهب في المراسم ومواكب السلطان ، مما يدل على ثراء الدولة وأهميتها التجارية.

منطقة غرب أفريقية أهم مكان لتصدير الذهب إلى حوض البحر الأبـيض المتوسط ، وبفضل الذهب ارتفع دخل دولة غانا وما يرتبط به من انتعاش تجاري واقتصادي ، لأنها تقع بين مناجم الملح في الشمال ومناجم الذهب فـي الجنـوب استفادت من عملية التبادل بين المنتجين. إذ كانت حاجة الجنوب إلى الملح لا تقل عن حاجة الشمال للذهب ، ويستخرج من الجنوب من أوليل التي تقع في الجـزء الجنوبي الغربي لبلاد المغرب ، على ساحل المحيط الأطلسي بينها وبين أودغست مسافة شهر ، كان يحصل منها على الملح.[2]

من صادرات دولة غانا الرقيق ، ليس بغريب أن يوجد الرقيق في دولـة غانا وفي غربي أفريقية فقد بدأ قبل حملات الفتح الإسلامي الأول ، وجد الرق في أفريقيا كما في أجزاء العالم الأخرى وكان الإسترقاق وسيلة للتحكم في الساقطين وأسرى الحروب واستخدامها بطريقة إنتاجية في مجتمع يفتقـر إلـى الحكوميـة الموضوعية والسجون الدائمة لتنفيذ القانون ، ولم تكن لدى المجتمعات الأفريقيـة فكرة عن حقوق الملكية الخاصة فقد كانت الحقوق الشخصية تحميها قوة القـانون التقليدي ومسئولية الجماعة [3]، فإن عقبة بن نافع عند فتح بلاد المغرب الأقـصى كان ينظم حملات لفتح طرق التجارة وتوسيع رقعة الدولة الإسـلامية ، وترتـب على ذلك يساق أسرى الحرب كرقيق ، وذلك حتى في قادة الفتح الإسلامي لغرب

[1] البكري ، مصدر سابق ، ص ٩٨.

[2] ابن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص ٩٢.

[3] دونالد ويلارد ، تاريخ افريقية جنوب الصحراء ، القاهرة ، دار الجيل للطباعة ، ص ٦٤

أفريقية ، فقد كان الأسرى يعودون أحراراً ضمن دورة تبادل تجـاري محـدود اهتداء بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "استوصوا بالأسرى خيراً".[1]

وتغيير التعامل مع الرق والاتجار فيه بانتشار الإسلام وعقائده التي تحرم الاتجار بالإنسان.

ويعمل الإسلام على تحرير أسرى الحروب وغيرها من مظاهر الاسترقاق والإسلام عمل على القضاء على الرق ووضع الأسس العامة لتحرير العبيد الرقيق وفك أسرهم ، والإسلام قضى على الرق بعد تربية النفوس واحترام مالـه مـن حقوق وما عليه من واجبات وضع الإسلام قواعد وأسس للقضاء على الرقيـق منها حرية الفرد والجماعة ، إعلان حقوق الإنسان وعمل الإسلام على الإيمـان بالله وحده ، وعدم الخضوع إلا إلى الله تعالى ، فخصفت نفس المؤمن ، والشعور بالسياسة ومن الأسس التي قام عليها الإسلام في محاربة الرق . مقاومة الاستعباد والظلم ، الحكم بالقسط والعدل ، من أهم الأسس لمنع الرق وتحريمه وقد وقـف كثير من المسلمين من أموالهم وممتلكاتهم على الأمور الخيرية . وأعمال البـدو وإعانة الفقراء والمساكين وإطلاق سراح الأسرى .[2] وأحدث ذلك تغييـراً فـي أوضاع الرق في دولة غانا ، وأن معظم الرقيق كـانوا مـن أسـرى الحـروب وضحايا الغارات الذين كانت تأخذهم دويلات الغرب الأفريقي.

حيث كانت تعقد سوق لرقيق في كومبي صالح ، وهـي محـط القوافـل القادمة من المناطق الجنوبية من أعالي السنغال والنيجر. وكانوا يحصرون علـى أن يجعلوها مليئة وذلك عبر الغارات على القبائل البدائية وتعتبر منطقة لـم لـم مصدر دائم للرقيق ، فيجمعون الرقيق من المناطق المجاورة لهم ، ويؤكد ذلك ابن خلدون (أن منطقة الجزء الأول من الإقليم فيه مصب النيل. وهو نيـل الـسودان فيصب إلى المحيط الأطلسي فيصب عند جزيرة أوليل وعند هـذا النيـل مدينـة تكرور وغانا. وإلى بلادهم يسافر تجار المغرب الأقصى بالقرب من شمالها بلاد لمتونة وسائر طوائف الملثمين. وفي جنوب هذا النيل قوم من السودان يقال لهم لم

[1] نذر الدين على بن أبي بكر بن سليمان، المصري، الهيثمي، مجموع الزوائد: منبع الفوائد، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.
[2] ناجي معروف ، أصول الحضارة العربية ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٧٩

لم ، وأهل غانا. يغيرون عليهم في وجوههم وأصداغهم ويسبونهم ويبيعونهم لتجار فيجلبون إلى المغرب وكلهم رقيقهم.[1]

ومن قول ابن خلدون أن منطقة لم المصدر الرئيسي للرقيق في دول غرب أفريقية.

وبتحكم دولة غانا في الذهب والرقيق سيطرت على الحركة التجارية فـي المنطقة ووفد إليها التجار من مختاف الجهات وأستقر بها التجار ووكلائهم لرعاية المصالح التجارية فوفرت لهم فرص الكسب الواسعة بالاشتغال بالتجارة وخدمـة القوافل لذلك اعتبر أبن خلدون مدينة غانا من أعظم مدن العالم.[2]

حافظت دولة غانا على هذا المركز التجاري حتى القرن الثالث عشر حيث تحول النشاط التجاري إلى دولة مالي.

مملكة مالي :

تمتد هذه المملكة على أحد فروع النيجر متاخمة لمملكة غانا من الـشمال تحدها من الشمال غابات تمتد من المحيط الأطلسي ، وشرقاً إلى أقلـيم كـانو.[*][3] وشمالاً إلى تخوم المغرب الأقصى .

يوجد بهذه المملكة العديد من الصناع والتجار ، وهـي معروفـة بـبلاد التكرور ، والتكرور هم اختلاط العنصر الزنجي بقبائل البربر وأكد الجغـرافيين والرحالة الذين زاروا هذه المنطقة هذه التسمية ومنهم القلقـشندي بقولـه ملـوك التكرور.[4]

وأنهم قبائل عربية بربرية وأنه شعب يميل إلى البيـاض مـع احتفاظـه بالإفريقية الواضحة. وهم جماعة مختلطة من الزنوج تأثرت بـسبب الموجـات المتتابعة من المهاجرين والفاتحين في حوض السنغال. وأطلقـوا علـى أنفـسهم

---

[1] نفس المصدر ، نفس الصفحة.

[2] نصف المصدر ، ص ٤١٢ ، أنظر أسماعيل: عماد الدين أحمد اسماعيل أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ج١ ، ص ١٢٠.

[*] أقليم كانو : أقليم في السودان الأوسط ، حدوده أي وادى شرقاً.

[3] الحسن الوزان ، وصف أفريقية ، مصدر سابق ، ص ٨٥.

[4] القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ص ٢٨٢ ، أنظر الإدريس نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، النص نقلاً عن صلاح الدين المنجد مالي في مؤلفات الجغرافيين ، مرجع سابق ، ص ٦٥ . نقلاً عن العمري.

فوتكابي أي مواطن فولتا اشتقاقا من محل أقامتهم فولتا السنغالية ، ويطلق كلمـة تكرور ويريدون بها كل من جاء من السودان الغربي.

ويؤكد ذلك ياقوت الحموي أنهم أشبه الناس بالزنوج ، وكلمة تكرور تـدل على اختلاط لونين. العنصر الأبيض بالعنصر الزنجي.[1]

أما المؤسسين الحقيقيين لدولة مالي هم شعب المانـدنجو وتطلـق كلمـة ماندنجو على القبائل الزنجية التي تسكن المنطقة وتتكون من أربع قبائل رئيـسية هي المالنك والبمبارة والديولا والسوننك أما قبيلة السوننك فتغلب عليها الـسمات البربرية ، وهي أحدى قبائل الماندنك الرئيسية ، أي الشعوب والقبائل الزنجيـة. وتنفرد بصفات جسمانية وتقاليد اجتماعية وكلمة ماندنك تعني القوة ، ما عند السيد وهي في مجملها ما عند السيد أي القوة العسكرية أو مركز إقامة السيد.

ومما تقدم نخاص إلى أن شعب الماندنجو مؤسسة دولة مالي هم أهم القبائل الزنجية وهم سودان في الأصل على حد قول السعدي.

مما سبق أتضح لنا أن شعب الماندنجو هم الشعوب المؤسسة لدولة مالي ، وهم من أوائل الشعوب التي اعتنقت الإسلام ، عندما انهارت غانا أمام هجمـات الصوصو الوثنين ، تصدى شعب الماندنجو فتمكن من الانتصار بقيادة زعـيمهم سندياتا تاكيتا في معركة كيريانا عام ١٢٣٥م. ويعتبر هذا العـام بدايـة انتـشار سلطانها على منطقة غرب أفريقيا.[2]

بدأ توسع دولة مالي باتجاه الشرق في منطقة فوتاجالون ، فبنيـت مدينـة نياني على شاطئ نهر السنكراني وهو أحد الروافد الهامة لنهر النيجر.[3]

وبانتشار الإسلام في مملكة مالي ازدهرت اقتصادياً في القرن الرابع عشر ويرجع ذلك إلى الحركة التجارية في المنطقة. وتوافد عليها رأس المال الأجنبـي من مصر والمغرب والضرائب على الصادرات والواردات.

وهذا دليل على ازدهار الحركة التجارية في دولة مالي.

---

[1] طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٠.

[2] نعيم قداح ، أفريقية الغربية في ظل الإسلام ، دمشق ، مكتبة أطلس – ص٢٥.

[3] زيادة ، صنغي على عهد الأسقين ، مرجع سابق ، ص ٢٣.

وتحكمها في طرق القوافل التي تؤدى إلى السودان ، ساعدها علـى ذلـك موقعها واتساعها. عرضها ثلاثة أشهر من الشمال إلى الجنوب ، مالي قاعدة هذه المملكة هي مملكة واسعة الأرجاء وأزيد ذلك القلقشندي بقوله هي مملكة مربعـة وجميعها مسكونة إلا ما قل.[١]

هذا دليل على الأتساع وساعدها على ذلك ازدهار الحركة التجارية.

التجارة في دولة مالي :

أهم مورد في دولة مالي التجارة والاتصال بالعالم الخارجي ، فهي تحكمت في الطرق التجارية وامتدت حدودها نحو الشمال. اكتسبت دولـة مـالي أهميـة تجارية وذلك لسيطرتها على تجارة الذهب أولاً الذي يعد أهم معدن بالنسبة للغرب الأفريقي حيث شاركت دولة غانا في ذلك وثانياً احتوائهـا علـى معـدن الملـح والنحاس داخل حدودها.

التجارة كانت تحصل في سلجماسة أهم مدخل للقوافل من الناحية الشمالية ومنها تتجه نحو تغازة .[٢]

تغازة :

من المراكز المهمة في إنتاج الملح وهي منجم معروف في الصحراء تبعد خمسة وعشرون يوماً عن سلجماسة في اتجاه الجنوب ، نحو بلاد السودان.

وسكانها من قبيلة مسوفة ، وهم الذين يستغلون مناجم الملح وإذ لم يكن من السهل نقل الملح من جزيرة أوليل عند مصب نهر السنغال ، عبر مسافات بعيدة.[٣]

لذلك أصبحت من المدن المهمة في إنتاج وتصدير الملـح ويـصفها ابـن بطوطة أن بيوتها من مناجم الملح وسقفها من جلود الجمال لا شجر فيها أنما هي رمل فيه معدن ملح ، يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخمة متراكمـة كأنها نحتت ووضعت تحت الأرض.[٤]

---

[١] القلشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج٥ ، ص ٢٨٢.

[٢] صالح الدين المنجد ، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٣ ، ص٤٥.

[٣] طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٤١.

[٤] أبن بطوطة ، تحفة الأنظر في عجائب الأسفار وعجائب الأقطار ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٣٧٧-٣٧٨.

وهذا دليل على كمية الملح المستخرج من مدينة تغازة إذ أصـبحت دولـة مالي من الأهمية بمكان بفضل هذا الإنتاج لهذا الملح. وأصبح نوع من العمـلات وساد كنظام للتعامل في المملكة مثل الذهب والفضة.

استثمرت دولة مالي جميع مناجم الملح في تغازة بجانب إنتاجهـا معـدن النحاس واشتهرت بتصدير الذهب إلى الخارج من جزيرة

واشتهرت بتصدير الذهب إلى الخارج من جزيرة ونقـارا، فقـد اسـتفاد ملوك مالي هذه المناجم كذلك ملوك غانا ما أفاض عليهم شهرة عظيمة .

هذه المراكز التجارية الشمالية لدولة مالي قد اتصلت ببعض المراكـز التجاريـة الجنوبية داخل دولة مالي .

المراكز التجارية الجنوبية:

أيولاتن:

بدأت تحتل مكانها التجاري عقب سقوط دولة غانا في القرن الثالث عشر ، وقيام دولة مالي إذ اتجهت إليها كل القوافل التجارية عبر المنطقة الغربيـة مـن الصحراء الكبرى ، وهي مدينة كبيرة تحت أشراف سلطان مالي.[1]

وهي مليئة بالفنادق والمنازل مما هيأ جواً للحركة التجارية بها وانتعاشـها التجاري والاقتصادي.

اشتهرت أهمية أيولاتن وكثرة أرباحها وسكانها خليط من الزنوج والعرب والبربر.

التجار الماندنجو سكان المدينة الأصليين والعرب هم التجـار المـسلمين القادمين من الشمال الأفريقي وهم عناصر عربية مختلطة بالسكان الأصليين. هذه العناصر ساعدت على نشاط الحركة التجارية بها وأدى العائد من أيـولاتن إلـى تدخل الحكام وبدأت تفقد أهميتها التجارية بعد اضمحلال دولة مالي فـي حـوالي القرن الرابع عشر. [2]

---

[1] ابن بطوطة ، تحفة النظار ، مصدر سابق ، ص ٦٧٠-٦٧٧.

[2] طرفان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٩

جني :

من المدن التي ازدهرت في دولة مالي ، وقد اشتهرت بتبادل الملـح مـع الذهب حيث وصفها السعدي بقوله (هي مدينة ميمونة مباركة، ذات سعة وبركة وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين ، وجد الناس بركتها في التجـارة يأتيهـا الرفاق من جميع الجهات عامرة بالأسواق في جميع الجهات.[1]

ضمت دولة مالي داخل حدودها مناجم الملح والنحاس وتحكمت في طرق القوافل شمالاً وجنوباً. وساد في المملكة ثراء ضخم.

وبسقوط مالي انتهت أهميتها كمركز تجاري ، ومن العوامل التي ساهمت في سقوط مالي ، استيلاء الطوارق على المدن التجارية ومن أهمها مدينة جنى ، والطوارق هم قبائل في الصحراء ينتهي نسبهم إلى حمير ، وهـم رحالـة فـي الصحراء ، ويصفهم السعدي بقوله (هم ظواعن في الصحراء رحالة ، لا يطمئن بهم منزل ، ليس لهم مدينة يأوون إليها ، ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين ، ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام ، وهم على دين الإسلام وأتباع السنة. ينتهي نسبهم إلى حمير ، وأنهم خرجوا من المغرب ورحلوا في الصحراء ، فتبربـرت ألسنتهم بمجاورتهم البرابر ، والأمير أبو بكر بن عمر بن إبراهيم الذي خط مدينة حمراء مراكش هو الذي أخرجهم من المغرب إلى الصحراء. عندما غارت جدالة على لمتونة ، واستخلاف يوسف بن تاستفين على المغرب.[2]

ومما تقدم نلاحظ أن الطوارق ظهروا عقـب سـقوط دولـة المـرابطين وتوسعها في بلاد السودان جنوباً وامتدادها نحو حوض السنغال والنيجر واتجهوا شرقاً إلى منطقة جنى ، ودليل على ذلك أن مناجم تغارة هي ملك للمسوفة أحدى قبائل هذه المجموعة. فاستيلاء الطوارق على المدن فقدت أهميتها التجارية ، فذلك هجوم قبائل الموشي من الجنوب ، وقبائل الولوف من الغرب ، وقبائل صـنغاي*

---

[1] السعدي ، مصدر سابق ، ص ١٢-١٣.

[2] السعدي ، تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ٢٦.

* الموش: قبائل تقيم جنوبي منحى نهر النيجر ، في منطقة فولتا العليا ظهرت مملكتهم في القرن الرابع عشر ، ظلوا على الوثنية وقاوموا الإسلام لمدة طويلة ، لهم عداء مع دول السودان مثل دولة مالي صنغي ، السعدي ، ص ٧٤.

من الشرق وتوالى عليها الضعف حتى سقطت في حوالي القرن الرابع عشر.[1]

وبسقوط مالي انتهت أهميتها كمركز تجاري وتحول التجار نحو الـشرق إلى منحى نهر النيجر وأصبحت جنى وجاو وتمبكتو مراكز للتجـارة ، وخلـق ملوك مالي ملوك صنغي في ذلك التحول.

دولة صنغي:

كونت هذه المملكة جماعات الصنغي على ضفاف نهر النيجـر الأوسـط. فأخذت الدولة جزءاً من السودان الغربي في فترة ازدهارها ، وهي فترة سـيادة حكم السنين في المنطقة. عام ١٤٦٤م.[2]

امتدت من النيجر شرقاً إلى حوض السنغال غرباً إلى الصحراء الجزائرية شـمالاً وأعلـن قـواد سـنى علـى سياسـة ترمـي إلـى نـشر الـدين الإسلامي ، بين القبائل المجاورة للمملكة ، أعقبـت أسـرة سـنى علـى أسـرة الأسكيات.[3]

وقد أمتد حكمها من (١٤٩٢ – ١٥٩٢) شهدت دولة صـنغي فـي عهـد الأسقيين قمة الازدهار فاندلعت حرب بعد موت سنى على إذ رفض سني بـاري اعتناق الإسلام فثار على السني[4] الجديد بقيادة حزب إسلامي ، استولى محمد نور على السلطة. وأطلق على نفسه لقب أسكيا. وأسس أسـرة حاكمـة مـن أصـل سوننكي.

استولى محمد نور على السلطة الجديدة وعمد لتوسيع الدولة والتي أسسها سنى على ، فقاد حملة مكنته من ضم المقاطعات إلى المملكة. فاتـسعت ناحيـة الغرب ، فتبعها توسع في إدارة ونظم الحكم واتسعت طرق القوافـل التجاريـة ، ونشطت الحركة التجارية عبر المراكز التجارية.

---

[1] صنغي على عهد الأسقيين ، عبد القادر زيادة ، مرجع سابق ، ص ٢٤.

[2] نياني ، تاريخ أفريقية العام ، طبعة ١٩١٨ ، ص ١٩٩.

[3] أسكي : لقب الأسرة الثانية في حكم دولة صنغي الإسلامية ، وأول من لقب به الأمير محمد أبوبكر الطوري وزنير سنى على وقائد جيشه ، عام ١٤٩٣. السعدي ، ص٧١-٧٢.

[4] سني : خليفة السطان ، بدله ، عوضه وقد ألحق بهذا اللقب بالملك ، مؤسسة الأسرة الثانية في حكم صنغي واتخذ هذا اللقب بعده ، سنى عال ، أي سنى على – السعدي ، ص ٢١.

التجارة في دولة صنغي :

تأتي أهمية التجارة في دولة صنغي باعتبارها المصدر الأساسـي وهـي كسائر دويلات الغرب تعتمد في تجارتها مع بلدان المغـرب والأقـاليم الداخليـة المجاورة لها . وكانت ترتبط ارتباط وثيق بهذه المدن التي كانت محـط القوافـل العابرة للصحراء وتحمل المنتجات المختلفة وتعود بالذهب وريش النعام والرقيق ،[١] وأهم المراكز التجارية تمبكتو ، جني ، غاو .

تمبكتو:

هي مدينة أسسها الطوارق وكانوا يجتمعون في موقعها المتوسط للتجـارة في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي الذي يربط كل منطقة السافنا ، الواقعة بين حوض نهر السنغال وبحيرة تشاد.[٢]

وذكر ليو أن تمبكتو أسسها منسي سليمان أحد ملوك مالي عام ٦١٠هـ.[٣] كذلك السعدي ذكر أنها أسست في حوالي القرن الثاني عـشر والثالـث عـشر ، السادس والسابع الهجريين.

ونرجح رأي السعدي في أن هذه المدينة أسست في حوالي القرن الثالـث عشر ، إذ لم تشير إليها المصادر العربية في تلك الفترة. وقبلها حيث أشار إليهـا ابن بطوطة أثناء تجواله في المنطقة عام ٧٥٣هـ - ٧٥٦هـ ، ١٢٥٥ إذ لم تبلغ الأهمية التجارية التي بلغتها في ذلك الوقت أي في عهد دولة مالي ، إنما بلغـت الأهمية التجارية في عهد دولة صنغي. في القرن السادس عشر.

تقع عبر طرق القوافل البرية عبر الصحراء والقوافل النهرية عبر نهـر النيجر.

وأهم الطرق التي تستعمل بتمبكتو أربع: الطريق من مصر ماراً بتمبكتو. والطريق من تونس ماراً بتمبكتو وتوات ، الطريق من المغرب الأقـصى مـاراً بسلجماسة إلى تمبكتو ، الطريق من تغازة ماراً بولاته إلى تمبكتو.[٤]

---

[١] السعدي ، مصدر سابق ، ص٢٠

[٢] السعدي ، تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ٢٠-٢١.

[٣] نصف المصدر ،

[٤] Bovil, Golden Trade of the Morees, Page ٣١٩

شكلت هذه الطرق أهمية مدينة تمبكتو وأصبحت المركز الأساسي الذي ربطها بمصر. وطريق آخر ربطها عبر دولة مالي وهو يمر عبر مناجم الملح وتغازة وولاته إلى مدينة تمبكتو مما أضاف إليها إزدهاراً تجارياً.

تأتي أهمية تمبكتو إذ توجد بها دكاكين الصناع والتجار ونساجي الأقمشة ، وكان يأتي إليها التجار من أوربا ، ويوجد بها القمح ، الماشية ، البن ، الزبد ، وقد أشار إلى ذلك الحسن الوزان بقوله " أنها عامرة بحوانيت الصناع والتجار ، ولاسيما الحوانيت التي تباع بها المنسوجات والأقمشة القطنية التي يحملها تجار المغرب.[١]

كل هذا جعل هذه المدينة ملتقى تجاري على كافة الطرق التجارية. يأتيها الناس من كل جهة وكل مكان. حتى أصبحت سوقاً يؤمها أصحاب الأموال من كل قبيلة وكل بلد ويفد إليها التجار من مصر وأصبحت مركز تجاري لكل المراكز التجارية الشمالية.

لم تزدهر مدينة تمبكتو فحسب فقد ازدهرت مدينة جنى أيضاً ، هي مدينة صغيرة تقع على نهر باني.

هي أحدى الأسواق في العالم الإسلامي ، وتميزت بكونها سوق من أسواق التجارة ، وهي ملتقى أرباح الملح من تغازة ، فقد اشتهرت بذلك في عهد دولة مالي ، لكن بلغت قمة ازدهارها التجاري في عهد دولة صنغي إلا أنها تأثرت بالأوضاع السياسية في أواخر عهد دولة صنغي نتيجة للغزو المراكشي ، على مدينة صنغي وسقوطها في القرن السادس عشر الميلادي ، عام ١٥٩١.[٢]

جاو:

هي مدينة أكثر أهلها تجار وهي أكثر بلاد السودان ذهباً ، تقع شرقي تمبكتو ، بها سوق للرقيق يزدهر عند قدوم التجار.[٣] وهي العاصمة السياسية لدولة صنغي . وازدهار التجارة أكده الحسن الوزان بقوله (بها تجار أثرياء وترد

[١] الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ص ٢٢٠.
[٢] زيادة ، مرجع سابق ، ص ١٠٧.
[٣] نفس المرجع ، ص ٥٣.

إليها الأقمشة من أوربا .[1]

ارتبطت جاو بحركة القوافل التجارية كسائر المدن السابقة تمبكتو وجنى ، ارتبطت كذلك بطريق سلجماسة وولاتا ، جاو ، وطريق من تلمسان إلـى تـوات فتمبكتو ، وطريق تونس غدامس واحة الجدير ، تبمكتو من طرابلس إلى جـاو ، تكدا.

ارتبطت هذه القوافل بشركة تجارية مع دويلات الشمال الأفريقي وتوجـد بها آبار يشترك بها سكان المدن والقرى.[2]

وبهذا يتضح أهمية هذه الدولة فهي كسائر دويلات المنطقة غانـا ومـالي تاجرت في الذهب والرقيق ، فقد تميزت به من حيث الوفرة والأسعار مما صنفها كواحدة من أهم مصادر المغرب ، مصر ، أوربا.

صادرات صنغي :

الذهب الذي يشكل الأساس في كثير من دويلات السودان الغربـي ، فـي عهد دولة صنغي على وجه الخصوص ، إذ كانت التجارة في أوج نشاطها بـين مصر والسودان الغربي.

وكان الذي يأتي من السودان يحمل إلى أوروبا ويوجد في بعض المنـاطق الحصى بجانب الذهب.[3]

هذا دليل على كثرة الذهب في المنطقة ، مما جعله من أهم صادرات الدولة لوفرته ، وقد أكد ذلك ابن خلدون فقد ذكر أن تجار مصر اشتروا حجـراً ذهبيـاً كانوا يرونه من أنفس الذخائر.[4] وأكثر أهلها مسلمون وكثير ما تورد إليها الـسلع مثل الذهب والنحاس .

هذا يؤكد أن الحركة التجارية كانت في أوج ازدهارها مع مـصر ودولـة صنغي هذا جعلهم يقطعون المسافات ، وقطع الطريق الذي كان يقدر بشهرين بين المغرب ومصر وبين دولة صنغي.

---

[1] الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ص ٨٢٦-٨٢٧

[2] نفس المرجع ، ص ١٢٠.

[3] القلقشندي ، صبح الأعشى ، مصدر سابق ، ص ٢٩٠.

[4] ابن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ص ٢٠٢.

أما صادراتها الأخرى فتشمل الرقيق فقد كانت الأسواق عـامرة بكميـات كبيرة منه ، وكانت أثمانهم منخفضة في صنغي عنها في العالم الخارجي. لـذلك كان التجار يعودون بأعداد كبيرة منه ، ويبيعونه في أسواق المغـرب ومـصر ، وعلى السواحل والتجار يحملون أعداد هائلة منه إلى أوربا.[١]

كان يشكل جزءً أساسي من صادرات صنغي.

كان معظم الرقيق الذي يباع في الأسواق السودانية من منـاطق الغابـات الجنوبية الوثنية التي تقطنها قبائل الموشى.[٢]

من الصادرات أيضاً ريش النعام وكان يستخدم في المنازل للزينـة لـذلك حرصوا على إحضار كميات كبيرة منه حين عودتهم إلى بلاد السودان.

وكان التجار يحرصون على جمع ما تيسر منه، لكي يبادلون به البـضائع التي تحملها القوافل من الخارج.[٣]

كذلك بيض النعام يستخدم في الزينة وكانت أثمانه مرتفعة فـي الأسـواق الخارجية ، كذلك التوابل والبهارات وكانت هذه المواد تأتي إلى هذه المناطق من الغابات في الجنوب ، وكان التجار يحملون قسماً منها إلى بلاد صنغي ، وكانـت التوابل مادة طيبة تتكون منها جميع العقاقير ، مواطنها الأصلية جنوب آسيا حيث المناطق الاستوائية كذلك أفريقية.

أما واردات صنغي فتشمل الكتب وهي من السلع التجارية الهامة ، فيجـد التجار منها أرباحاً طائلة فقد كانت أسعارها مرتفعة وأسواقها رائجة تـرد إلـى السودان من بلاد المغرب ومصر ، وعرف السودان الكتب والمؤلفات المـشرقية والمغربية ، ونشأت حرفة الوراقين.[٤] ووضع السودانيين عدة مؤلفات مع هذا لـم تتوقف عملية ورد الكتب من الخارج.

ازدهرت الحياة الفكرية على عهد دولة صنغي نتيجة للكتب المختلفة التـي استوردت من بلاد المغرب.

---

[١] زيادة ، صنغي على عهد الأسقيين ، ص ١٢٢.

[٢] Bovil, Page, ١٣٩.

[٣] زيادة ، صنغي على عهد الأسقيين ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦.

[٤] نصف المرجع ، نفس الصفحة.

الخيول: من السلع الهامة ذات الأسعار المختلفة ، وكان امتلاكها يقتـصر على الخاصة دون العامة إن امتلاكها ، يقتصر على طبقة الحكام والملوك.

ومما يدل على ذلك أن والى تمبكتو كان يمتلك فرساً من أحسن مـا يـرد على مملكته وأكد ذلك محمود الفتاش والخيل بمملكتهم كثير.[1]

كذلك من الواردات العطور كانت تأتي موادها الأولية من السودان. مثـل المسك والعنبر ، أما المواد فقد كانت تأتي أكثرها من المغرب ، حيث فيجد التجار من ورائها أرباحاً طائلة وقد وردت إلى أسواق صنغي مختاف الأنواع من المسك والعطور. كذلك من الواردات ، الحلى الزجاجية وهي عبارة عن حبات تـستخدم سبحاً وعقود الزينة ، ويشير ابن بطوطة إلى ذلك بقوله: (المسافر إلى هذه البلاد لا يحمل ماءاً ولا زاد إنما يحمل قطع الملح ، الزجاج الذي يحمل السلع العطرية ، وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل ، ويقوم التجار بشراء هذه المواد من نساء المدن ، مقابل هذه السلع.[2]

هذا ما يدل على أهمية هذه المواد العطرية وتداولها في منطقة السودان.

القمح كان يزرع في السودان. غير أن الكمية التي تنتج منه لم تكن تفـئ بحاجة السكان. وكانت تأتي كمية من المغرب إذ يمثل أحد البضائع الواردة إلـى بلاد المغرب ، والقرى الواقعة عند حافة الصحراء تحمل منه مقـادير كبيـرة ، مقابل الخدمات التي تقدم إلى التجار أثناء مرورهم على مناطقهم.

كذلك من الواردات الأصباغ وتقبل الطبقات في دولة صنغي على شـرائها بكثرة ، كذلك الجلود المدبوغة.

والتين ذا قيمة إستهلاكية ، وهي من البضائع التي تحمل من المغرب إلـى السودان.

واردات وصادرات دولة صنغي تمثل قمة التطور التجاري لـيس علـى مستوى دولة صنغي فحسب إنما على مستوى دويلات الغرب الأفريقي ، إذ أصبح القرن السادس عشر يمثل قمة التطور والإزدهار وذلك لكثرة الصادرات بجانـب

---

[1] زيادة ، صنغي على عهد الأسقيين ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩.

[2] ابن بطوطة ، تحفة النظار ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤.

الذهب والرقيق. فهي تمثل دخل في دولة صنغي. ويتميز هـذا العهـد باتـساع الحركة التجارية.

فمن الطبيعي أن تؤثر الحركة التجارية على المجتمـع الإفريقـي وعلـى الاقتصاد في دويلات الغرب الإفريقي إذ أسهمت في نمو وتطور المدن التجاريـة وثرائها مما أدى إلى إرتفاع دخل هذه الدويلات.

مجتمعات غرب أفريقية

ساهمت التجارة بدورها على ممالك السودان الغربي ، أدى الاتصال الواسع عبر الصحراء إلى التحول الكبير في الأوضاع الاقتصادية.

لدويلات السودان الغربي ، غانا ، مالي ، صنغي.

فقد كانت مجتمعات تلك الدويلات تعتمد على ما ورثه الأسلاف وتنظيمها ، وعلى الأسطورة وعبادة الأرواح في ديانتها ، كذلك في سبل كسب العيش التقليدية المتعلقة بصيد الحيوانات والزراعة والعشيرة تشكل وحدة اقتصادية كبيرة ، تتكون من وحدات صغيرة هي الأسر ، وينظم شئونها مجالس العائلة. حيث يعمل الجميع في حقول عامة ، معتمدين على الزراعة وصيد الحيوانات ، وأدى ذلك إلى نشوء الطبقة العاملة الناتجة عن توزيع العمل بين مجموعات القبائل والأسر.

أما صيد الحيوانات فقد كانت تقوم به مجموعات في أعالي النيجر واليورو في حوض النيجر الأوسط. كذلك جماعات السوركو ما بين تمبكتو وغاو في حوض بلاد صنغي وكان يباع في الأسواق ، بما في ذلك المناطق على حافة الغابات في الجنوب. كذلك في دولة غانا التي تعتمد على تربية الماشية فأصبح معظم الريفيين يقومون بتربية الأبقار والأغنام والماعز وفي منطقة التكرور ودولة مالي حيث غزارة المراعي في تلك المنطقة.[1]

أولاً : المجتمع الأفريقي فالمجتمعات الإفريقية تعتمد اعتمادا أساسياً على صيد الأسماك ، الرعي ، الزراعة ، وبتطور التجارة أحدث تغييراً في المجتمعات الإفريقية وبتأسيس الحركة التجارية التي أصبحت عماد الناحية الاقتصادية.

انتظمت الحركة التجارية عقب انتشار الإسلام في دويلات الغرب الإفريقي.

حيث وضعتْ أسس التعامل التجاري وفق ما جاء ذكره في القرآن والسنة.

والتجارة في نظر الإسلام تقوم وفق الشرع والعدل. وذلك بقول الله تعالى (ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم

[1] نياني ، تاريخ أفريقية العام ، ص ١٧٥ – ١٧٦.

يخسرون)[1]

كذلك في السنة قول الرسول (ص) (التاجر الأمين الصدوق المـسلم مـع الشهداء يوم القيامة).[2]

والتجارة هي محاولة الكسب لتنمية المال لشراء السلع وهي تقتضى الأمانة في عمليات البيع والشراء. وفق المعاملات الإسلامية. التي تؤدي إلى تطور البلاد القائم على مذهب التعاون بين الأفراد والجماعـة وضـوح الأسـس الـشرعية للمعاملات التجارية حكمت العلاقة بين البائع والمشتري ، ووضعت أحكام الثقافة والاستدانة ورد الدين. وحرمت المغالاة والمبالغة في الأسعار ، وكذلك التخـزين والاحتكار ومثلما شرع القرآن الكريم العدل والقـسط فـي الميـزان والكيـل ذم الأغنياء وحذرهم من أن يكون المال دولة بينهم دون الفقراء وذلـك بمـا يكـون لتوزيع عادل لفرص المتاجرة وتنمية والثروة والأموال. [3]

في المدينة يلتقي التجار حيث يتبادلون السلع – وتتبادل الأفكار مما يـدل على الأهمية التجارية والمعرفية معاً. مما يؤكد أن التجـارة لـم تكـن ظـاهرة اقتصادية فقط بل هي ظاهرة ثقافية أيضاً. ربطت دويـلات الغـرب الأفريقـي بالشمال. وبالبحر الأبيض المتوسط على المستوى الثقافي.

ثانياً : انتعاش المدن: أدى ازدهار التجارة إلى تطور ونشأة مدن جديدة في القرنين الرابع عشر ، والخامس عشر والسادس عشر علـى عهـد دولـة غانـا ازدهرت مدينة أودغست فهي محطة تجارية رئيسية هي مدينة مزدهرة أسـواقها غنية تحصى بأجود أنواع الذهب.[4]

فقدت أهميتها عند ازدهار مدينة ولاته على عهد دولة مالي وتشهد علـى إثرها تطور مدن الشمال الإفريقي التجارية مثل سلجماسة وتكدا ، فهـي محطـة للتجارة داخل حدود دولة مالي. اكتسبت أهميتها من التجارة القادمـة إليهـا مـن

[1] سورة المطففين ، الآية ٧-٩.
[2] أبن ماجه ، التجارات ، ج ١.
[3] دائرة المعارف الإسلامية ، ج٤، ص٥٩٠
[4] البكري ، المغرب ، مصدر سابق ، ص ١٥١ ، أنظر الجزء الخاص بأودغست ، في الفصل الثاني.

الشمال. وعلى هذا فقد ازدهرت هذه المدينة. بازدهار المراكز التجارية وأهمهـا مدينة تغازى. ومناجم الملح – أثرت الحركة التجارية بمدينة ولاته.

وهذا يؤكد أن النشاط التجاري يكمن وراء تطـور المـدن وازدهارهـا. وأهميتها التجارية.[١]

كذلك ازدهرت مدينة نياني ، على عهد دولة مـالي كـان بهـا وكـالات تجارية، وكان هؤلاء ينظمون طرق الاستيراد والتصدير عبر الصحراء الكبـرى ومن هؤلاء جماعة المقري أسلاف أحمد بن محمد المغري المغربي التلمـساني ، عمل في التجارة بين بلاد السودان وبلاد البحر الأبيض المتوسط ، وأوروبا. ومن المدن التي أزدهرت مدينة تلمسان وكانت ميناء تجاري مزدهر ، كذلك سلجماسة أهم مدينة في طرق القوافل الشمالية ، وأن أفراد هذه الجماعة كانوا يتبعون طرقاً أشبه بالعلمية. مثل الأسعار السوق السلع هذا بدوره أدى إلى تطور مدن الشمال.

واستقبال من منطقة البحر الأبيض المتوسط وفي بلاد السودان.[٢]

هذه الجماعة التجارية أثرت الحركة التجارية في دول شمال وبين التجارة من داخل مملكة مالي بازدهار المراكز التجارية الشمالية. فقـد سـيطرت هـذه الجماعة التجارية على المراكز الشمالية. والمراكز الجنوبية التي تشمل ولاتـه – وجنى – فقد ازدهرت التجارة وهو الاستيلاء على الطرق المؤدية إلـى الـذهب. والمؤدية شمالاً إلى حدود إنتاج الملح والنحاس. ومن هنا أصبح لهم السيطرة على التجارة بين المراكز التجارية الشمالية. والمراكز التجارية الجنوبية وبجانب مدنية نياني وولاته في فقد ازدهرت مدن أخرى ، تمثلت في تمبكتو وبلغت ذروة مجدها في القرن السادس عشر وهي العاصمة الاقتصادية لدولة صنغي.[٣]

اكتسبت أهميتها التجارية من موقعها على نهر النيجر وأصـبحت محطـة للقوافل القادمة من المغرب ، وجاء ازدهارها من تجارة المرور ، ولاسيما تجارة الملح والذهب. وساعد موقعها على طرف الصحراء إلا أن غدت مينـاء داخلـي

---

[١] نعيم قداح ، أفريقية الغربية في ظل الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢٥-١٢٦.

[٢] طرخان، مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٤٢.

[٣] ديسنكي مودي ، تاريخ أفريقية العام ، ص ٢٢٧.

لأرض السافنا والغابات.

كذلك كانت سوق داخلية تقوم بعرض منتجات السودان للمغرب ، وتستقبل متاجر المغرب بتصديرها إلى مناطق السودان الداخلية.[1]

عملة تمبكتو من الذهب ، وتقع بالقرب من مناجم الملح ، وبداخل المدينـة كثير من الآبار العذبة ، وفيها الحبوب والماشية كما يصلها الماء من روافد نهـر النيجر. بها قصور رائعة وفيها قصر يقيم فيه الملك وقد حلى بكثير من الصور: وكان بيته عامراً بالأموال وقبضات الذهب، وهذا دليل على ثراء المدينة. وجـود الذهب واستخدامه في تزيين القصور.[2]

كذلك أهمية المدينة التجارية الناتجة من حركة القوافـل محملـة بالـذهب الصادر من المدينة نحو الشمال.

من المدن التي أصبحت على جانب كبير من الثراء مدينة جنى وقد أرتبط ازدهار مدنية جنى بمدينة تمبكتو.

وبجانب اعتمادها على تجارة الذهب والملح فقد كانت سوق لتجارة الرقيق ، تستخدم القوارب في نقل الملح من تنبكت إلى جنى فهي حلقة الوصل بين تجارة الذهب والملح ، وعن طريقها وصلت متاجر أفريقيـة الـشمالية إقلـيم الغابـات بالإضافة إلى ثروتها السمكية الحيوانية – الزراعية لذلك هي تـرتبط اقتـصادياً بتمبكتو.[3]

مما تقدم نلاحظ أن مجتمعات هذه المدن. تتكون من طبقات التجار. ممـا أسهم في الانتعاش الاقتصادي بهذه المدن. بفضل التجارة الخارجية حيث ترد إليها البضائع من مختاف الأقطار. هذه المراكز التجاريـة هـي المحـرك الأساسـي لاقتصاد دويلات غرب أفريقية.

فهذه المدن مرتبطة فيما بينها بطرق تجارية . والذي يحدد هـذه العلاقـة حركة القوافل التجارية عبر المدن ، وتمثلت هذه الروابط فـي ازدهـار المـدن

Hunwick, Ahmad, Baba, Mor con, Inviasion, JGonral of the History of Nigirya, Page ٣٣. [1]

[2] حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في قارة أفريقية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠-٢٢١.

[3] ديسنكي مودي ، تاريخ أفريقية العام ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧.

وارتباطها مع بعض البعض ومثال لذلك ارتباط مدنية جنى بمدينة تمبكتو وارتباط تمبكتو بطرق القوافل شمالاً عبر الصحراء الكبرى.

التجارة أسهمت في ثراء هذه المدن ليس على مدن غرب افريقية فحسب إنما على مستوى مدن بلاد المغرب العربي الشمالية سلجماسة التي ترتبط بتمبكتو وبلاد البحر الأبيض المتوسط ، فالنشاط الاقتصادي مؤثراً عبر منطقة الإنتاج وأقصى الشمال البحر الأبيض المتوسط.

وبجانب ازدهار هذه المدن التجارية فقد ساد نظام لتعامل التجاري بين هذه المدن التي تشمل المراكز التجارية الرئيسية في دويلات الغرب الأفريقي.

نظام التعامل :

أسهمت الحركة التجارية في إثراء وانتعاش المدن في دويلات الغرب الإفريقي التي أصبح نظام التعامل وفق المنتجات الأساسية. فقد اتخذت المقايضة أساساً للتبادل التجاري ، منذ تأسيس دولة غانا وكان العرب يحملون بضائعهم إلى وادي نهر السنغال. فيضعونها في أماكن خاصة. ثم ينسحبون فيأتي تجار ودويلات غانا فيضع كميات من الذهب الموجود أمام بضاعته ، وهذا ما يعرف بالتجارة الصامتة.[1]

وكانوا يصنعون طبولاً ضخمة تسمع على مسافات شاسعة فيسمع بها أهل التبر .[2] وقد أورد المسعودي وصفاً لتجارة الصامتة بقوله (ملكها ملك غانا ، عظيم الشأن يتصل ببلاد معادن الذهب ولهم خط لا يتجاوزهم من صدر إليهم ، فإذا وصلوا إلى ذلك الخط جعلوا الأمتعة عليهم وانصرفوا إلى فيأتي السودان ومعهم الذهب ، فيتركونه عند الأمتعة ، وينصرفون ويأتي أصحاب الأمتعة فإن ارضاهم وإلا عادوا ورجعوا فيعود السودان فيزيدهم حتى تتم المبايعة .[3]

هذا النوع من التعامل منتشراً داخل السودان حيث مواطن الذهب ، أما المراكز التجارية على طرق الصحراء يتم التعامل بالسلع الرئيسية ومنها التعامل

---

[1] نعيم قداح ، مرجع سابق ، ص ١٢٧.

[2] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٨٢٢.

[3] المسعودي ، مخطوط الزمان ، نقلاً عن طرفان ، غانا في العصور الوسطى ، ص ٦٥

بالملح ، وكان التجار يحملون الملح من مناطق الشمال على نهر السنغال. أما المناطق التي يقل فيها الملح فقد كان التعامل يتم بالسلع المحلية ومنهم من تعامل بالذرة، القمح، النحاس.[1]

أما داخل دولة مالي فقد كان التعامل بالملح وأكد ذلك أبن بطوطة المسافر إلى بلاد مالي لا يحمل دينار ولا درهم إنما يحمل قطع الملح.

هذا ما يؤكد أن أهل مالي تعاملوا بالملح قبل معرفة النقود مثل الدينار والدراهم.

الودع من وسائل التعامل الذي كان سائداً في دويلات السودان الغربي وكان ذلك في دولة غانا التي استغلت الودع كنظام للتعامل فقد كان يحمل إليها التجار السن الملح النحاس والودع ولا يأتون منها إلا بالذهب العين.[2]

هذا ما يؤكد التعامل بالودع في المعاملات التجارية ولكن الذهب هو الأهم في دولة غانا على حد قول القلقشندي لما تحتويه الدولة من مناجم الذهب.

أما في دولة مالي أن التجار أكثر ما يأتيهم الودع ويتعاملون به وهذا دليل على ازدهار التجارة القادمة بمختلف أنواع السلع.

أما في دولة صنغي فيذكر محمود كعت أن سلاطين صنغي كانوا يزودون المسافر بالودع ، وبلغت نسبته مائة ألف ودعة ، وكان يأتي من المحيط الهندي ويصدر إلى السودان عن طريق التجار المغاربة.

أما وسيلة التعامل الرئيسة هي قطع الذهب من مناطق إنتاجه إلى مناطق السافنا في الأجزاء الجنوبية حيث يحمله تجار سواحل البحر الأبيض المتوسط ، للحصول عليه والثانية حملة عبر الصحراء إلى مدن شمال أفريقية وهناك بضرب عملة التداول المحلي.

وشكلت مساحة راسخة لسوق يقوم نظامه النقدي على الذهب ، وأن الطلب كان كبيراً في طول وعرض العالم الإسلامي ، وفي الأجزاء الشرقية من العالم الإسلامي، فقد كان الحكام المسلمين يضربون ديناراتهم الذهبية الخاصة بهم.

---

[1] أبن بطوطة ، تحفة النظار ، مصدر سابق ، ص ٣٧٧-٣٧٨.

[2] عماد الدين أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، بيروت ، دار الفكر العربي ، ج ١ ، ص ١٩٥٦.

وكان ذهب غرب أفريقية المصدر الأساسي لضرب العملة في المشرق. حيث لم تكن هناك مناجم للذهب في مصر والشرق الأوسط.[١]

كانت سلجماسة المركز الرئيسي للذهب في الشمال حيث يمر بهـا تجـار الذهب ، وأن الإفريقيين وصلوا إلى ضرب الـذهب محليـاً ، عـرف بالمثقـال والمثقال سمى دينار.[٢] المثقال يساوي ٧٢ حبة من القمح المتوسطة الحجـم وقـد وجدت قطعة من الزجاج فكانت هي وزن المثقال . وهي في شكل دائري شعاعها يساوي ٢٦مم ، ووزنها حوالي ٣ غرام ، ويمكن تقدير الوزن الكامـل للمثقـال حوالي أربع غرام أما الدينار فيساوي أربعين درهم . أما الدرهم فيساوي ٢,٨ غ . وأصبح الدينار من العملات المتداولة في دويلات الغرب الإفريقي.

أما التعامل بالنحاس فقد كان معمولاً به في السودان ذكر ابن بطوطـة أن النحاس المستخدم يستخرج منه قضباناً وأربعمائة قضيب بمثقال ذهـب ، وتبـاع الرقاق منها ستمائة بمثقال وكانت قوتها الشرائية عالية إذ يشترون برقاقها ، اللحم والحطب ، وبخلافها الذرة والسمن.[٣] وهذا دليل على اسـتخدام النحـاس كعملـة أيضاً.

أما معدن النحاس فيباع المثقال بثلثي وزنه من الذهب فيبـاع كـل مائـة بمثقال بثلثي مثقال من الذهب.

ونلاحظ أن الملوك يهتمون بالذهب والدليل على ذلك ، أن الملك يملك كثير من النقود والسبائك الذهبية ، تزن الواحدة منها مثقال ذهب تستعمل قطع الذهب الخالص بدلاً عن العملة المصكوكة وتساوي الأوقية ست مثاقيل من الذهب.[٤]

أصبح المثقال متداولاً في دويلات الغرب الأفريقي بلغ صـرف المثقـال. ثلاثة الآلاف ودعة ، وبيع الجلد المدبوغ بخمس مثاقيل والملح ست مثاقيل.[٥]

---

[١] Masoen, Trans – Sanara Trεade, Discovery of Mediterain world, Bergin ١٩٩٧ Page ١١٦-١٤٢.

[٢] نعيم قداح ، مرجع سابق ، ص ٧٠.

[٣] أبن بطوطة ، تحفة النظار ، مصدر سابق ، ص ٦٧٤.

[٤] الحسن الوزان ، وصف أفريقية ، مصدر سابق ، ص ١٦٧.

[٥] البكري ، المغرب ، مصدر سابق ، ص ١٨٣.

أما النقد فقد عرف عقب ازدهار الحركة التجارية بين بلاد المغـرب فقـد كان العملة المتداولة في السودان فقد ذكر أبن حوقل أن هناك معاملات تجاريـة مكتوبة بين تاجر من سلجماسة وأودغست بمبلغ أربعين ألف دينار مغربي. وهذا ما يدل على أن العملة المغربية كانت متداولة في السودان.[١]

وقد وجدت على حدود دولة صنغي أن كثير من الدراهم والدنانير الفاطمية والمغربية وردت لدولة صنغي عن طريق التجارية الخارجية.

كذلك أزدهر النشاط التجاري القائم البشري القائم على التجارة إلـى حـد كبير. في دويلات للغرب الإفريقي ومصدره تلك السلع التجاريـة مـن ذهـب ، نحاس، ملح.

أصبح الذهب عماد الناحية الاقتصادية في دويلات الغرب الإفريقي فقد كان أساس العملة ومنطقة الغرب الإفريقي بين القرنين الحادي عشر والسادس عـشر المورد الرئيسي للذهب في العالم.

وأن القوافل تحمل كميات من الذهب سنوياً " ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ ألف كيلو جرام سنوياً" فإن ازدهار هذه التجارة بدأ في القرن العاشر الميلادي.[٢]

كان ملك غانا يختار الجيد من الذهب لنفسه وكان لبعض ملوكها قصعة من ذهب في قصورهم استخدموها مربطاً لخيولهم وفيها صخر كالمربط وهو مـربط الفرس.[٣]

ومما يؤكد شهرة وثراء ملوك غانا اعتمادهم على الـذهب كمظهـر مـن مظاهر العظمة واستخدامه في قصورهم الخاصة فقد أدى اقتناء الملوك للذهب إلى ارتفاع مكانتهم كما اعتمدوا أيضاً في زيادة دخلهم على الضرائب التـي كانـت تأتيهم من الاقطاعات التابعة لهم.[٤]

فقد كان يفرضون ضرائب على البضائع الصادرة والواردة إليهم من دول الغرب وتمثل في ثراء ملوك صنغي والدليل عليه ما تصرف به سلطان صـنغي

---

[١] أبن حوقل ، صورة الأرض ، مصدر سابق ، ص

[٢] محمود خيري عيسى ، العلاقات العربية الإفريقية ، ، مرجع سابق ، ص ٥٣.

[٣] إبراهيم على طرخان، غانا في العصور الوسطى ، المجلة التاريخ المصرية ، القاهرة ، ج ١٣ ، ص ١٩٦٧.

[٤] القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٨٧.

اسكي محمد بتصرفه بمائة ألف أوقية ذهب وأشترى بمثلها بيوتاً وزع منها على الفقراء.

بجانب الذهب تعددت أوجه التعامل التجاري وازدهرت الحركة التجاريـة في مالي وصنغي ، وازداد الاهتمام بامتلاك مناجم النحاس في القرن الرابع عشر وكان ذو قيمة اقتصادية عظيمة حيث يصدر إلى مدينة نياني فيباع بزنة المثقـال ذهب.[1]

مما يدل على أهمية النحاس في دويلات الغرب الأفريقي. فقد امتدت إلـى قصور الملوك فقد كان الملك يمتلك آنيـة مـن النحـاس يـستعملها لأغراضـه الشخصية.

تأتي أهمية الملح من الناحية التجارية بعد الذهب.

فقد تميزت دولة مالي وصنغي بامتلاك مناجم الملح داخل حـدودها ، وأن مناجم تغازة كانت تزود أسواق السودان الغربي بالملح ، كان ثمنه باهظـاً فـي السودان. كان يضاعف أربع مرات في ولاته ونياني ، وسكان الغابات يـشترونه بأغلى ثمن.

وكان الانتشار داخل منطقة نهر النيجر ، فقد كان مصدر الملح إقليم دندي حيث يغذي منطقة نهر النيجر ، فقد كانت تمبكتو تستورده من ذلك الإقلـيم إلـى الغرب من تغازة.[2]

أسهمت هذه الحركة التجارية وتجارة الذهب بوجه خاص في دولة غـرب أفريقية فقد كان امتلاكهم للطرق المؤدية إلى مناجم الذهب الأثر في احتكار هـذه التجارة وزيادة حجم الذهب. في فترة ازدهار الدويلات الإسلامية. بدأ تأثير ثقافي جديد في الانتشار وهو تعميق الدين الإسلامي لاختلاط الوثنيين بمجتمعات التجار والتعايش في مجتمعات مدن التجارة.

فقد كان من تأثير التجار على المجتمع الإفريقـي والمجتمعـات التقليديـة ونزعة حب الاستطلاع. وكذلك المكانة الاجتماعية التي قدمها الإسلام والعـادات

---

[1] نياني ، تاريخ أفريقية العام ، مصدر سابق ، ص ٦١٨.

[2] محمود خيري عيسى ، العلاقات العربية الأفريقية ، مرجع سابق ، ص ١٨.

والتقاليد والطقوس المختلفة والمأكل والمشرب ووجود أقوام مختلفـي الأعـراف والثقافات.

التجار هم حملة الدين والدين الإسلامي عالمي ، والدعوة دعوة عالمية لكل البشر وصالحة لكل زمان ومكان ، والإسلام أسـهم فـي النـواحي الاقتـصادية والسياسية والثقافية.

ترسخ الدين الإسلامي في دول الغرب الأفريقي بفـضل حـسن الأحكـام الشرعية في المعاملات اليومية في مجال التجارة وقد اقتدى حكام تلك المنـاطق التي انتشر فيها الإسلام بسنة الرسول الكريم وخلفائه الراشدين في اعترافهم بحق الشعوب والقوميات التي يدخلها الإسلام فالرسول وأتباعه والحكام في المنـاطق التي انتشر فيها الإسلام في الاحتفاظ بحقوق ملكياتهم للأرض والثروات مما رسخ ووطن الإسلام في دول الغرب الإفريقي وأصبح جزءاً مـن تكوينهـا العقائـدي والثقافي.

الثقافة العربية الإسلامية في شمال
بلاد المغرب

عرفت التجارة بأنها واحدة من أهم وسائل نقل الخبرات والمعارف ، من منطقة إلى أخرى تبعاً للحركة التجارية. فهي عملية مؤثرة تتبادل فيها الأفكار وبجانب المنافع الاقتصادية تحدث معايشة لأفكار مختلفة ويحدث نوعاً من التأثير والتأثر الثقافي الذي يحمل معه نظاماً متكاملاً تمثله طرق المعاملات التجارية والسلوك الشخصي للتجار مع عملائهم.

وبما أن منطقة غرب أفريقية من المناطق التي قصدها التجار المسلمون فلابد أن يكون لهم أثر ليس في منطقة نشاطهم فحسب وإنما في المناطق المجاورة أيضاً.

كان لانتشار الإسلام في الشمال الأفريقي والعربي والهجرات أثر في امتداد المؤثرات العربية الإسلامية في منطقة الغرب الإفريقي.[1] نحو الجنوب وأصبحت من وسائل انتشار الإسلام.

تمثلت هذه الهجرات في هجرة قبائل بني هلال وسليم في القرنين الخامس الهجري والحادي عشر والثاني عشر الميلاديين نحو منطقة نهر النيجر وبلاد الشمال وهم قبائل عربية من مضر يسكنون المدينة والطائف وهم تجار يطرقون رحلة الشتاء والصيف في أطراف العراق والشمال. وهاجروا إلى منطقة الشمال الإفريقي.[2] فقد استعانت بهم الدولة الفاطمية في عهد المستنصر بالله في عام ٣٦٥ ، ٣٨٩هـ ، نقل منهم من كان من بني هلال وبني سليم إلى مصر ولما ساءت العلاقات. بين الفاطميين وبين الأمارات التابعة لهم ، رؤوا أن يدفعوا عرب بني هلال لغزو هذه البلاد ، ويتخلصوا من عبثهم وفسادهم فيتخلصوا من أمراء أفريقية الخارجين عن طاعتهم ، وفي عام ٤٣٣هـ ظهرت هذه الفئات المهاجرة.

بعد أن مرت إلى طرابلس وبرقة واستقرت أقام بنو سليم ببرقة وسارت قبائل دياب وعون وزغب بطون هلال إلى أفريقية ودخلوا القيروان واستباحوا

---

[1] أحمد شلبي ، الموسوعة ، مرجع سابق ، ص55.

[2] أبن خلدون ، العبر ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٢٧ – ٤٨.

المدينة. وقضوا على حضارتها وعاثوا في البلاد ينهبون ويأسـرون لـم تـصمد القبائل لبني هلال. لذلك أنتصر العرب الهلاليون وأنتقل مركز الثقافة إلى مدينـة فاس بعد زوال القيروان.

أثرت هذه الغارات في هجرة القبائل البربرية جنوباً وكان لها أثر في نشر الإسلام في السودان الغربي.[١]

نحو نهر السنغال والنيجر وتأثروا بالثقافة الإسلامية حيث تم الاختلاط بين البربر والزنوج وعلى رأسها قبائل التكرور السنغالية.[٢]

وبالإضافة إلى الزنوج كان للفتح العربي أثره في نشر الإسـلام والثقافـة الإسلامية. كذلك دولة المرابطين وجهود علمائها أثر في نمو حـضارة إسـلامية جمعت العديد من الزنوج على أطراف الصحراء.[٣]

اتساع التجارة وحركة القوافل عقب إنتشار الإسلام نمت مراكز التجارة فقد أصحبت المدن التجارية مدن ثقافية تقوم بدور العبادة والعلم وأصبح لبلاد المغرب دور حقيقي في منطقة الغرب الأفريقي.

المراكز الثقافية ببلاد المغرب :

فاس:

تأسست عام ١٩٢هـ وأصبحت مدينة من مدن العلم ، وأن عدد مساجدها بلغ سبعمائة وأثني مسجد وهي مدينة لها أثر في تاريخ الثقافة العربية في المغرب فأصبحت الحاضرة التي يقصدها التجار. وبدأت مدارسها تتلقى المـؤثرات مـن مدارس القيروان. وكان لهذه المدارس الفضل في نشر اللغة العربية.[٤]

نتيجة لزحف قبائل بني هلال ، فقد كان داعياً لكثير من العلماء أن يفـروا من الزحف ويستقروا بفأس وأسسوا جامع نسب إليهم سمى جامع القيرويين أنشئ سنة ٢٥٤هـ - ٨٥٩م. وهو من أقدم الجامعات الإسلامية في المغرب فقد تولى دراسة علوم الإسلام واللغة العربية. وما يتصل بها من عقائـد وحـديث ونحـو

---

[١] حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، مرجع سابق ، ص ٢٠.

[٢] مهدي ساتي ، الإسلام والثقافة العربية في حوض السنغال ، الخرطوم ، معهد البحوث والدراسات ، ص ٢٠.

[٣] المرجع السابق ، ص ٩١. أنظر الجزء الخاص بدولة المرابطية ، الفصل الأول:

[٤]

وصرف . في جامع القيرويين تخرج منه العديد من العلماء في العلوم ، كان جامع القرويين يمدها بمختلف الأساتذة ومراكز الشمال التي أثرت في الفكر الإسلامي فأصبحت منارة فائقة ترجع إلى القرن الثامن الميلادي ، واستقبلت العديد من الطلاب من مسلمي قرطبة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر وشيدت بها المدارس والجوامع وخرجت صفوة العلم والفكر والثقافة ، الأدب ، الرياضيات وعندما أنشئت معاهد علمية كانت جامع القيروان تمدها بمختلف المعلمين الأساتذة ، وكان الاتصال وثيق بين مراكز الجنوب ، وثقافة الشمال. مصدره هذه الجامعة التي أثرت في الفكر الإسلامي ، والثقافة العربية وبها مكتبة تحتوى على المخطوطات النادرة.[١]

تلمسان :

هي مدينة اختطها الملثمون سكانها أصحاب السلطان والجند ، وقد وضح ذلك الحميري في كتابه الروض المعطار (هي دار العلماء والمحدثين ، وأهل الرأي على مذهب الإمام مالك).[٢]

بها سور كبير وأسواق وهي هدف مختلف الصالحين وأهل الحيز ، وقد وجد بها علماء العربية والنحو ، ينسب إليهم أقوام من الشعراء منهم أبو الحسين خطاب أحمد بن الحسين خليفة التلمساني وكان جيد الشعر.[٣]

كذلك اهتمام المدينة بالعلم والأدب منهم أبو عبد الله محمد بن خميس وقد انتشد كثير من الشعر.

وأستشهد هنا بذكر بعض الأبيات ، كنموذج لشعر والشعراء في تلك المدينة:

لا ترج من دنياك وداً فإن يكن فما هو إلا ظل سحاب
كم عطلت من أربع وملاعب كم فرقت بين أسرة وصحابي
وما الحزم كل الحزم إلا اجتنباها وأشقى الورى من تصفى وتحابى
أليكم بني الدنيا نصيحة مشفق عليكم بصيد الأمور نقاب

---

[١] أنور الجندي ، الإسلام والثقافة العربية في الشمال ، مرجع سابق ، ص ١٣٨.
[٢] الحميري ، الروض المعطار ، مصدر سابق ، ص ١٣٥.
[٣] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ص ١٣٥.

وقد نرى في هذه الأبيات ضرورة توخي الحكمة في الأمور في هذه الحياة ولابد من التحلي بالصبر في مواجهة الأمور في الحياة الدنيا والأخذ منها القليل.

فقد كان سكان هذه المدينة على جانب كبير من العلم والشعر والأدب.[١]

ومن أشهر علمائها التلمساني المغربي الذي رحل إلى السودان ونزل وكان رجل فكر وعقيدة. وحبب إليه الطلاب والمريدين وقد نبغ في كثير من الأدب والشعر.[٢] كذلك من المراكز الأدبية.

جامع الزيتونة:

بناه حسان بن النعمان ، كان في بداية عهده مدرسة يتلقى فيها التلاميذ علوم الدين وما يتعلق بها من نحو وصرف ، أضيفت إليه بعض العلوم الحديثة مثل الجغرافية والتاريخ إلى أصبح جامعة .[٣]

من أهم المراكز العلمية الإسلامية ، أصبح جامعة للدراسات العربية والإسلامية لعب دوراً هاماً في إثراء المعرفة الإسلامية لا في تونس وحدها بل في شمال الصحراء. ويصفه العبدري الحجي بقوله (إن أحسن الجوامع وأتقنها وأكثرها إشراقاً ودائرة مسقف ووسطه فضاء ، إذا كان يوم الجمعة نثرت عليه شقق الكتان حتى تظل جميع الفضاء [٤] ، ومن قول العبدري هذا يتضح قيام حلقات الذكر والتدريس في يوم الجمعة مما يدل على الوعظ الديني والحركة الفكرية في المسجد ، وكان به كثير من العلماء من البربر والزنوج ، تخرج منه علماء جنوب الصحراء خدموا فكره وثقافته.[5]

في مقدمتهم عبد الرحمن بن خلدون مؤسس علم الاجتماع . عبد الحميد ابن باديس ، الطاهر عاشور ، فقد كانت به نهضة علمية ثقافية أسهمت في إثراء العلم والثقافة في مناطق شمال إفريقية.[٦]

---

[١] أبي عبد الله محمد بن العبدي ، الحيحي ، الرحلة المغربية الرباط وزارة الشؤون الثقافية والتعليم ، ١٩٦٨ ، ص55.

[٢] موسوعة التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٧٥.

[٣] احسان حقي ، تونس العربية ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٩، ص ٢٠٢

[٤] العبدري ، مصدر سابق ، ص ٤٠

[5] شلبي ، الموسوعة ، ص ١٧٦.

[٦] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

لهذه المراكز أثر واضح في انتشار الإسلام في منطقة غرب إفريقية وفي تعميق اللغة العربية والتعليم العربي الإسلامي. في دويلات الغرب الإفريقي فقد انتشر المذهب المالكي ، ومناهج التعليم هي مناهج مغربية ، ومن هنا نستخلص أن الثقافة في الشمال هي موجهة لثقافة غرب أفريقية.

الثقافة العربية في غرب إفريقية :

للمراكز الثقافية في الشمال أثر في إنتشار الثقافة العربية في دويلات الغرب الأفريقي ، ومن أبرز الأسس التي ارتكزت عليها الثقافة العربية الحماس المتزايد للعلم والثقافة ، فقد برزت النهضة التعليمية المستمدة أصولها من القرآن والسنة.

في دولة مالي وصنغي التي تمثل قمة التطور والازدهار الثقافي والفكري في المراكز الثقافية.[1]

أما في دولة غانا فقد دخلت الثقافة العربية الإسلامية عند تأسيس مدينة كومبي صالح. عام (١٠٧٦) فقد كانت كومبي ملتقى القوافل من مصر القيروان مراكش قاصدة نهر السنغال والنيجر.

وتطورت نقاط التجارة التي قصدها التجار المسلمون على طرق القوافل ، حتى أصبحت مدناً هامة ، ثم أمارات مستقلة بعد سقوط دولة غانا ، تمثلت في مدينة أودغست.[2]

تعتبر من أهم مراكز الثقافة في شمال غرب القارة الأفريقية وتأتي أهميتها الثقافية بكونها تجميع بين التجارة والثقافة بما فيها من المساجد والمدارس.

أسهمت هذه المدن في نشر التعليم العربي الإسلامي. وكان التجار دعاة يقومون بواجبهم في نشر الثقافة الإسلامية ، اتسعت قاعدة التعليم ، وانتشرت مدارس تعليم القرآن والفقه واللغة في المساجد وما حولها في المدن.

كانت حركة التعليم في صورتها الأولى تقتصر على بعض الضروريات التي يحتاجها المسلم في مجال العبادات والمعاملات ، إقامة شعائر الدين وكان

---

[1] نعيم قداح ، أفريقية الغربية في ظل الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

[2] على عبد الله الخاتم ، التعليم الإسلامي في غرب إفريقية ، دراسات إفريقية ، العدد الثالث ، ١٩٨٧م ، ص ٩٦.

المعلمون متوفرين بالنسبة للمجالات التي لا تحتاج إلى تبحر في الدين.

وبانتشار الإسلام ازداد عدد المسلمين الوافدين من خارج غانا للتجارة، أما في دولة غانا فقد بدأت المساجد تقوم بدورها في عملية التعليم.[١]

وظهرت مدينة غانا مركزاً علمياً متميزاً من حيث عدد الأئمـة والفقهـاء الذين كانوا يترددون على المناطق الداخلية في مملكة غانا. ومنها مدينة تادمكـت التي تقع على نهر النيجر ومنها الفقيه (أبو محمد بن عبد الملك ومعه مجموعـة من الفقهاء ، وتصل مرحلة اهتمام أهلها بالتعليم الديني على حد قول البكري أنها أشبه بلاد الدنيا بمكة ، وأنها مدينة كبيرة أهلها من البربر المسلمين ، وهي أحسن بناء من مدنية غانا.[٢]

وقوله تاد مكة أي أن تاد تعني ارتياد – مكة – اطلقوها واردوا بها انتشار الإسلام بها ، لذلك فهي أحسن وأكثر أهلها مسلمين. وتاد تعني هذه – علـى رأي الحميري – ونلاحظ اهتمام أهل غانا ومراكزها الداخلية بالعلم الـديني والثقافـة العربية الإسلامية – وظهور عدد من الفقهاء ورجال الدين وحملة العلـم إذ لـم يقتصر ذلك على خارج المدينة فقط وإنما على المناطق الداخلية وقد ذكر البكري أن لغانا حيين ، مدينة يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة بها أثنى عشر مـسجد. يجتمع بها الأئمة والمؤرخون بها فقهاء وحملة علم ، المدينة الأخـرى ، مدينـة الملك ، المباني بينها متصلة بها مسجد يصلى فيه من عليه من المسلمين ملكهـم يسمى المسلماني وقد وجد عنده ضيف يعلم القرآن والسنة والفقه.[٣]

ومما يؤكد إهتمام الدولة بالعلماء إنتشار العلوم في المناطق الجنوبية وكانت هذه العلوم تتركز على حفظ القرآن وقرآءته أولاً ثم العلوم الإسلامية ، المتفرعة ، التفسير ، النحو ، البلاغة ، الصرف ، الفقه ، الفرائض. هذه الدراسـات تغـذي المراحل العليا وكل من المراكز الثقافية الأخرى حديث ينسب المساجد ، وأنشأت المدارس التي تعلم القرآن والعربية.[٤]

---

[١] أحمد إلياس ، الإسلام في مملكة غانا ، دراسات إفريقية ، العدد الأول ، الرابع ، ١٩٨٨ ، ص٩٦.

[٢] البكري ، المغرب ، ص ١٧٨.

[٣] البكري ، نفس المصدر ، نفس الصفحة.

[٤] نعيم قداح ، مرجع سابق ، ص ١٤٤.

أسهمت الحضارة العربية في تعميق الدين الإسلامي في مملكة غانا ووجد عناية كبيرة واهتمام في الدولة – وهذا أدى إلى انتشار الإسلام واللغة العربية.

دولة مالي :

خلفت دولة غانا دولة مالي ، فقد ازدهرت الحياة العلمية ووفد عدد كبيـر من العلماء ، ولا سيما من المغرب والأندلس ، ومن المدن التي اشتهرت بازدهار الحركة العلمية نياتي وتمبكتو وجنى وجاو.* هذه المدن إزدهرت بكثرة علمائهـا حافظت هذه المدن على أهميتها العلمية حيث كان للسلطان علاقات ودية بسلاطين المغرب.

وأمر بإرسال البعثات الثقافة إلى فأس والقاهرة.[1]

أهتم ملوك مالي بالتعليم والعلوم الإسلامية. فأقاموا صلاة الجمعة ووصـل إلى بلادهم العلماء ويعتبر أهل مالي أهل ديانة وعلم. وذلك بالتزامهم بالـصلوات والتي اعتنوا بها وبحفظ القرآن الكريم.

ويذكر في ذلك أبن بطوطة " إذا كان يوم الجمعة إذا لم يبكر الفرد بالذهاب إلى المسجد لم يجد مكان يصلي فيه ، لكثرة الزحام ، ومن عاداتهم أن يبعث كـل إنسان بسجادة فيبسطها في موقع يستحقه فيذهب إلى المسجد. وسجادتهم من سعف يشبه (النخيل) ، لا شعر له ، ومنها لباسهم البيض الحسان يوم الجمعة ، ولم يكن لأحدهم قميص إلا غسله وشهد به يوم الجمعة.[2]

كذلك شهد مواكب السلطان لصلاة العيد أحضرت بمالي عيـد الأضـحى والفطر ، فحضر الناس إلى المصلى، وعليهم الثياب البـيض الحـسان. وركـب السلطان وعلى رأسه الطيلسان.[3] وحوله القاضي والفقيه والخطيب.

وجد الخطيب لترجمة اللغة العربية للغة الماندنجو ، إلا أن الصلاة وجميع الطقوس كانت تؤدي باللغة العربية ، وهذا دليل على استخدام اللغة العربية فـي الأعياد والاحتفالات وأكدوا على حرمة المساجد وتقديسها ، أن أهل مالي كـانوا يستجيرون بالمساجد ، إذا لم يوجد مسجداً استجاروا بدار الخطيب.[4]

---

* هذه المدن وصلت قمتها الثقافية في عهد دولة صنغي

[1] طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٤٧.

[2] أبن بطوطة ، تحفة النظار ، ص ٤٠٩ – ٤١٠.

[3] الطيلسان ، رداء أسود وهو لفظ فارسي مغربي.

[4] أبن بطوطة ، تحفة النظار ، ج ٤ ، ص ٤١٧-٤١٨.

هذا ما يؤكد عمق الإسلام وإنتشار تعاليمه ، وفق الكتاب والسنة.

مدينة مالي مدينة كبيرة تضم طائفة من العلماء والفقهاء وكبيـر فقهائهـا محمد الفقيه الجزولي ، شمس الدين النقشوبي المصري ، ومن الفقهاء الذين ألتقى بهم أبن بطوطة الفقيه المقري صهر الجزولي.[1]

وقد وجدت المساجد في كثير من المدن الكبيـرة مثـل مـسجد زاغـة ، ووصفهم أبن بطوطة بأنهم قدماء في الإسلام وأهل ديانة وعلم.[2]

وقد أهتم ملوك مالي بالعلم فأشترى بعضهم بعض الكتب في فقه المالكية – كذلك اهتمامهم بالمساجد – ولكل مدينة مساجدها وأئمتها ووعاظها.

[1] نفس المصدر ، ص ٣١٧.

[2] نفس المصدر ، ص ٣٦٥.

دولة صنغي :

خلفت دولة مالي دولة صنغي ولم تزدهر الحركة العلمية. في دويلات غانا ومالي فحسب أي في القرنين الرابع عشر ، فقد أزدهرت في عهد دولة صـنغي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. على كل من ضـفة نهـر النيجـر ، وتكونت مجموعة من المسلمين المثقفين ، كان للإسلام شأن كبير فـي إصـلاح المعارف سواء عن طريق الكتب التي ترد إلى أسواقها بكميات كبيـرة أو عـن طريق التجار الفقهاء الذين يذهبون لتجارة ، وهم دعـاة يعلمـون ويدرسـون أو الطلاب الذين يذهبون لطلب العلم في شمال أفريقية ومصر وكانوا يعودون بعـد إنتهاء دراستهم فيتلقون ما تلقونه من معارف في المساجد التي قصدوها، للدراسة والتعليم ، كذلك العلماء من المناطق المختلفة لتدريس مثل علماء فأس ومراكش.[1]

دولة صنغي قد عرفت في عهد ملوكها أنواع المعارف المختلفة ألفت عدة مؤلفات في المنطق ، الفقه ، العروض ، التاريخ ، ألفها علماء سودانيين.

اهتمت دولة صنغي كثيراً بنشر العلم وكان ذلـك مـستمداً مـن تعـاليم الإسلام.[2]

وكان يعهد بمراكز الثقافة والتعليم بالإشراف عليها للقـضاة ولا يـدخلها السلاطين ورجال الحكم إلا في المناسبات الدينية وأهم مراكز العلم والثقافة فـي عهد دولة صنغي – تمبكتو.

تمبكتو:

بجانب مركزها التجاري مركز ثقافي وأصل الكلمة هي بئر تكتو وهي أسم امرأة كان يعهد إليها بحراسة البئر في ذلك المكان.[3]

وقد أكد ذلك السعدي بقوله : (هي مسقط رأسي وبقية نفسي مـا دنـستها عبادة الأوثان وما أسجد لأديمها لغير الرحمن مأوى العلماء والعابـدين ومؤلـف الأولياء الصالحين. فقد أفتخر بها ملتقى الفلك والسيار ، فجعلوها خزانة لمتاعهم ،

---

[1] زيادة ، صنغي على عهد الأسقيين ، مرجع سابق ، ص ٨٧.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقية ، دار الجامعات للنشر والتوزيع ، طبعة ١٩٨٥ ، ص ٨٣.

[3] السعدي ، مصدر سابق ، ص٢٠

وزروعهم ، إلى أن صارت مسلكاً لسالكين ذهابهم ورجوعهم ، وهـي العجـرة وسميت بها هذا الموضع.[1]

وكذلك أفتخر بها محمود كعت الفتاش الونكري أصلاً بها كثير من الأئمـة والدعاة والعلماء.

وهي مدينة زاخرة بالعلوم يجئ إليها للعلماء من كل حدب وصـوب مـن المغرب المشرق ، السودان كان طلاب العلم في صدر عهـدهم يرتحلـون إلـى طلاب المغرب الأقصى ، ويسافر بعضهم إلى مصر لطلب العلم ، ولمـا أرتكـز العلماء بمدينة تمبكتو رجع الناس إليها في طلب العلم. إذ أنها أقرب إلـيهم مـن غيرها.

صاروا لا يطلبون العلم إلى بها ، ولا يحتاجون إلى غير مؤلفات علمائهـا الراسخين في العلم.[2]

وكان الملك يحترم العلماء والأدباء ويشترى كثير من المخطوطات ، ممـا يدل على احترام العلماء والأدباء بتمبكتو.[3]

من الكتب التي كانت تدرس في جامعة تمبكتو ، صحيح مسلم والبخـاري. والشفاء للقاضي عياض ، والموطأ للإمام مالك ، والألفية والجندية في العروض ، ومن العلماء الذين سكنوا تمبكتو عمر الساكن – أبو عبد الله محمد أبو جعفر عمر بن محمد. أحمد بابا التمبكتي. فهو علامة فريد دهره . البارع في كل فـن مـن الفنون العلم الذي جد حتى فاق كل معاصريه.[4]

ومن خلال ما ذكره السعدي فقد ازدهرت الحياة العلمية في تمبكتو بعـدد من العلماء ورجال الدين لهم الفضل في ازدهار الثقافة العربيـة – فقـد كثـرت المكتبات في تمبكتو وكانت هناك صلات بين تمبكتو والقاهرة.[5]

---

[1] السعدي ، مصدر سابق ، ص ٢٠-٢١.

[2] عبدالفتاح مقلد الغنيمي حركة المد الإسلامي في غرب أفريقية ، القاهرة ، مرجع سابق ، ص ٨٣

[3] شلبي ، الموسوعة ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢.

[4] السعدي ، تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ٢٧.

[5] نفس المصدر، ص ٢٥

ومن أشعار أحمد بابا التمبكتي في الرثاء وفي الأدب والشعر. ومن أبياتـه في رثاء الشاعر يحي التادلسي المغربي.

تذكر ففـــى التذكار جل الفوائد
وفـي طيـــه ورد على خيـــر وارد
ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا
وسفر ذوى الأفكار أحظى بزائــد
بحســـن تعليـــــــــــم مقـــرب
وفتـــاق تهذيب بحسن الفوائـــد

وفي هذه الأبيات يشير إلى أهمية التعليم وإشادة بالعلمـاء. ذوي المكانـة الرفيعة والهمم السامية وضرورة تبجيلهم وتوقيرهم ، وذكر محاسنهم.

جني:

من مراكز الثقافة مدنية جنى أسلم ملكها سنة ١١٠٠- ١١٠١م.

في عهد الدولة المرابطية بالمغرب. وأسلم ملك كثير وملك جنى في القرن السادس الهجري ، فقد جمع أربع ألف ومائتين عـالم ، وأن المـساجد أصـبحت جامعات بها وأقام بها كثير من العلماء والفقهاء كان يؤمها الطلاب. ويجلس بهـا العلماء وقد ساق لها مكاناً من العلماء والصالحين يؤمها الطـلاب ويجلـس بهـا العلماء.

ومن علمائها محمد سافو الونكري ، الذى كان فقيهاً عالماً – رحل من بلده في أرض بط.[1]

وهناك الكثير من العلماء والفقهاء الذين رحلوا من مدينة ورحلوا إليها من علماء السودان كان بها حوالي مائة وثمانون مدرسة وكانوا قادمين مـن أنحـاء السودان بنيت مساجدها على طراز المساجد الإسلامية.[2]

مدينة جاو:

من المراكز الثقافة التي تقع على نهر النيجر ، وقد ذكر أبن بطوطة – هي مدينة من مدن السودان. بها فقهاء ينتسبون إلى بعض قبائل البربر. بالإضافة إلى

---

[1] السعدي ، مصدر سابق ، ص ١٦-٣٢.

[2] نفس المصدر ، نفس الصفحة.

أهميتها السياسية فقد اتسعت بها مراكز العلم.فقد كانت مراحل التعليم تنقسم إلـى قسمين مرحلة التعليم الابتدائي ، مرحلة التعليم الثانوي. ويتولى التعليم فيها معلمو الكتاتيب فقد كانت منتشرة في جميع المدن والقرى. والمناقشات الفقهية التي تعتمد على الاستنتاج. مثل حفظ القرآن ، والإلمام بالمبادئ في اللغة والفرائض. وهـي المناهج الأساسية في الكتاب.[1]

وهي تهيئة الطالب للدخول في المرحلة الثانية في التعليم بعد الإلمام بالخط واللغة وتمكنه من فهم الدروس.

كان الطلاب يدخلون في الكتّاب في سن الخامسة. ولا يـدخلون المرحلـة اللاحقة إلا بعد ذلك.

كان عدد الكتاتيب مرتفعاً في عهد دولة صنغي ، وكان معظمهـا يـشتمل على عدد كبير من التلاميذ. ولهم مشاركات اجتماعية أثناء الحفـلات فيرتلـون جماعياً وتوزيع عليهم الهدايا.[2]

كان تعليم الكتّاب واسع الانتشار على عهد دولة صـنغي ، أمـا التعلـيم الثانوي ، في المساجد بعضها صغير والبعض الآخر كبير ، وكانت المواد أكثـر وضوحاً تدرس في المساجد الصغيرة ، مثل النحو والفرائض ، البلاغة أما فـي تنكبت كان التعليم من النوع الثانوي. ينتهي إليه بعد إكمال تعليمه في الكتّاب.[3]

أما في جامع سنكري فقد كان التعليم من النوع الثاني حيث تدرس المـواد في شكل اختصاص تتناول فيها بتفصيلات واسعة ومما يدل على هذا الـتمكن أو المادة التضلع في المادة أمهات الكتب التي تدرس وأن العلماء المتخصصين فـي كافة فروع المعرفة كانوا على عهد دولة صنغي ولهم نشاط في التدريس وإقبـال على التدريس واقتناء الكتب التي يجمعوها في مكتباتهم الضخمة في مواد النحـو المنطق ،الفقه ،الأدب ،اللغة ،التفسير ،الحديث، الفلك هذا يدل على إطلاع هؤلاء الأدباء . من كثرة الكتب المتداولة في مختلف أنواع المعرفة [4].

---

[1] زيادة ، مرجع سابق ، ص ١٤٢.

[2] نفس المرجع ، ص ١٤٢

[3] نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[4] نفس المرجع ص ١٤٦

كانوا يهتمون بالتعليم وسط العدد الضخم من الطلاب ، وكان لهم إقبـال على العلم دفعهم إلى رحلات إلى بلاد المغرب ومصر . وأن الطلاب ينتقلون من مكان لآخر كلما سمعوا باستاذ متضلع في مادة يريدون التمكن منها . وتمثل ذلك في جامع سنكري سابق الذكر .

جامع سنكري:

مركز للعلوم الإسلامية جمع كل العلوم ومن أعظم فقهائهـا أحمـد بابـا التبمكتي.

ومنها الحاج جد الحاج أبي بكر الذي تولى القضاء في آخر عهد دولة مالي ، وهو الذي قراء نصف حزب من القراء في جامعة سنكري ، بعد صلاح العصر وبعد صلاة العشاء.[1]

أما العلوم التفصيلية فقد كان يجلس لهذا النوع أساتذة متخصصون أحاطوا بكل جزئيات المواضيع التي كانوا يقومون بتدريسها وكانت جميع الكتـب التـي تدرس في المشرق والمغرب تدرس في السودان.

فقد ذكر السعدي ذلك ، مثل الشفا للقاضي عياض ، علم الحديث ، المرونة ، الرسالة ، مختصر خليل ، الألفية ، رجز المضلي، شرح الشريف، السبتي.

تحفة الحكام لأبن عصام ، فإن أسم هذه الدراسة حـصل علـى الإجـازة المصاوبة. ورحل إلى المدينة حيث يشتغل بالإمامة والقضاء ، وكانـت الطريقـة المتبعة من مشاهير الأساتذة من الشرح بأسلوب بـسيط تقـرب الفهـم وتـسهل الاستيعاب. وكانوا يصرون على المناقشة في المسائل المختلفة مع طلابهم حتـى يتمكن من بلوغ أهدافهم.[2]

فقد كانت الحركة العلمية على عهد دولة صنغي على درجة عاليـة مـن الازدهار ، وكانت شبه ما كان موجوداً بدويلات الغرب الإفريقي. ولكن توسعت المعارف والعلوم العربية على المستوى التقليدي من المدارس الأولية إلى الحركة الفكرية في الجامعات والمعاهد العليا ويرجع ذلك إلى ازدهار واتـساع الحركـة

---

[1] السعدي ، تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ١٨.

[2] السعدي ، مصدر سابق ، ص ٤٩.

التجارية في القرن. السادس عشر. الأمر الذي كان له أبر الأثـر فـي النـواحي الثقافية.

وانعكس ذلك على منطقة الغرب الإفريقي.

الخــاتمة

انتشر الإسلام في منطقة الغرب الإفريقي منذ الفــتح العربــي الإســلامي للمنطقة وقد ساعد على ذلك عدة عوامل. ومن أهم هذه العوامــل التجــار. فقــد عرفت بلاد غرب إفريقية التجارة منذ عصور قديمة ، وازدهرت عقــب انتــشار الإسلام ، وبلغت أوج ازدهارها في القرن السادس عشر الميلادي. وتبــع ذلــك رسوخ العقيدة الإسلامية. بجانب التجارة كانت لجهود المرابطين أثر في تعميــق العقيدة الإسلامية ، وفي تحول الحياة الاجتماعية في دويلات الغرب الإفريقــي ، فقد ازداد عدد المسلمين وتعمقت ثقافتهم ، وكثرة المدن ذات الطابع الإسلامي.

كان للمراكز التجارية الشمالية أثر في إثراء التجارة في الممالك الإسلامية في غرب إفريقية ، دولة غانا ، مالي ، صنغي وأن واردتها أسهمت فــي ثــراء المنطقة تجارياً إذ كان ينعدم وجود الملح في الأرض السودانية. فقد اعتمدت على وارد الملح من المراكز الشمالية.

أما صادرات دويلات الغرب الإفريقي فقد تمثلت في الذهب الذي يــشكل رمز العظمة في دولة غانا التي تمثل القوة الاقتصادية الأولى ، وبفضل الــذهب وشهرته كان يغذى أسواق المغرب العربي ، وبلاد البحر الأبيض المتوسط. فمن الطبيعي أن تشتهر دولة غانا لأن ذهبها تخطي حدود المراكز الشمالية إلــى دول أوربا. في القرن الحادي عشر ، كذلك تميزت دويلات الغرب الإفريقي بوجــود الملح داخل أراضيها والنحاس وكان هذا ما يميز دولة مالي ، وامتلاكها منــاجم النحاس فقد أسهمت هذه الحركة التجارية في إنما الحضارة الإسلامية وفي طبــع تلك المناطق بالطابع الإسلامي.

إن عهد دويلات وممالك غرب أفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي يمثل تطوراً وازدهاراً تنوعت فيه الصادرات وتعددت من ذهــب ، ونحــاس ، عاج ، أصباغ وملح، وقد ارتبطت هذه الممالك بعلاقات مع بلاد المغرب العربي والبحر الأبيض المتوسط ، فقد تميزت بتنوع المنتجات وتصريفها فقد أسهم ذلــك في النهضة الحضارية، وأن تجارتها الخارجية كانت تشكل طريق اتصالها بالعالم الخارجي.

فقد انتعشت المدن التجارية وأصبحت مراكز حضارية ثقافية.

وإن الإسلام أحد الأسباب التي أدت إلى ازدهار التجارة فقد حث على الكسب الحلال والمهن الشريفة.

وانتقلت المؤثرات والثقافة العربية الإسلامية لاختلاط الوثنين بمجتمع التجار ، وتأثرت مناهج التعليم بالطابع المغربي ، ونمت المراكز الحضارية ، التي كان لها الفضل في نشر العقيدة الإسلامية.

وبرز الإسلام في المجتمع وتمثلت عظمته في أداء شعائر العقيدة الإسلامية ، فقضى على روح الانتماء والتعصب للقبيلة ، فأصبح الإسلام جزءاً من التراث القومي ، ومكون من مكونات الثقافة بغرب إفريقية.

النتائج

- التجارة عامل أساسي في انتشار الإسلام ، في دويلات الغرب الإفريقي منذ عمليات الفتح العربي الإسلامي الأول.
- عملية البيع والتجارة عملية مؤثرة تتبادل فيها الأفكار كما أن السعي وراء المنافع الاقتصادية يزيد من معايشة الأفكار المختلفة ، ويخلق جواً مؤثراً من التأثير والتأثر الثقافي.
- مجتمع دويلات الغرب الإفريقي مجتمع بسيط يقوم على التجارة والسلع المتبادلة. مع دول الشمال وأهم الصادرات الذهب التي كانت تصدر للخارج مما ترك أثراً في المنطقة.
- الحركة التجارية أسهمت في ازدياد المعرفة ، وتعميق انتشار اللغة العربية والإسلام مما أدى إلى نهضة ثقافية.

المصـــــادر والمراجع

١- إبراهيم علي طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، القاهرة (مصر) ، الهيئـة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠.

٢- ابن عذار المراكشي ، البيان المغرب في أخبـار الأنـدلس والمغـرب ، بيروت ، دار الثقافة.

٣- أبو جعفر بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، بيروت ، دار المعارف ، ١٩٦٣م.

٤- أبو الحسن علي بن موسى بن سـعيد ، بـسط الطـول والأرض ، ط١، بيروت ، المكتب التجاري . . للطباعة والنشر والتوزيع .

٥- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الفزاري ، البغـدادي ، القلقـشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ، الهيئة المـصرية للتـأليف والنشر.

٦- أبو العباس أحمد بن يحيى بن داؤود البغدادي ، فتوح البلدان ، بيروت ، دار الجامعيين للنشر ، ١٩٥٧.

٧- أبو عبيد الله البكري ، المغرب في ذكـرى بـلاد أفريقيـة والمغـرب ، الجزائر ، ١٨٥٧م.

٨- أبو عبيد الله البكري ، المسالك والممالك ، تونس ، الدار الوطنية للكتاب ، ١٩٩٢م.

٩- أبو القاسم أحمد بن حوقـل النـصيبي ، صـورة الأرض ، بيـروت ، ١٩٦٢م.

١٠-أبي عبد الله محمد العبدري الحيحي ، الرحلة المغربية ، الربـاط ، وزارة الشئون الثقافية والتعليم ، ١٩٦٨م.

١١- إحسان حقي ، تونس العربية ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٩م

١٢- أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مـصر ، مكتبـة النهـضة المصرية ، ج٤ ، ١٩٦٣م.

١٣- أحمد مختار العبادي ، تاريخ المغرب والأندلس ، الاسـكندرية ، مكتبـة النهضة المصرية ، ١٩٦٣.
١٤- الإستبصار في عجائب الأمصار ، الإسكندرية ، ١٩٥٨م.
١٥- أنور الجندي ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيـا ، القـاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥.
١٦- بازل ديفدس ، أفريقيا تحت أضواء جديدة ، ترجمة جمال محمد أحمد ، بيروت ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٥٩.
١٧- بطرس البستاني ، دائرة المعارف الإسلامية ، بيروت ، الجزء ١١.
١٨- جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية للعلاقات العربيـة الأفريقيـة ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات ، ١٩٥٧ .
١٩- الحبيب الجنجاني ، المغرب الإسلامي ، تونس ، الدار الوطنية للنشر.
٢٠- حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في قارة أفريقيا ، القاهرة ، مكتبـة النهضة المصرية ، ١٩٦٣.
٢١- حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيـا ، دار الفكـر العربي ، ١٩٨٦.
٢٢- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٣.
٢٣- حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة التونسية ، تـونس ، مكتبة المنار ، ١٩٦٦.
٢٤- الحسن الوزان ، وصف أفريقية ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، بيروت.
٢٥- دونالد ويلارد ، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء ، بيروت ، دار الجيل
٢٦- زاهر رياض ، الممالك الإسلامية وأثرها فـي تجـارة الـذهب عبـر الصحراء ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨ .
٢٧- سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغـرب العربـي ، القـاهرة ، دار المعارف .

٢٨- صلاح الدين المنجد ، مملكة مالي عند الجغـرافيين المـسلمين ، ط١ ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٣.
٢٩- شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجـي ، تحفة النظار في غرائب الأقطار وعجائب الأسفار ، بيروت ، ١٩٦٤.
٣٠- شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ياقوت الحمـوي، معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٥٧م.
٣١- عبد الرحمن بن عامر أسعدي ، تاريخ السودان ، السعدي ، بـزدين ، أنجي ، ١٨٦٨م.
٣٢- عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، الاسكندرية
٣٣- عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، حركة المد الإسلامي فـي غـرب أفريقيـا ، القاهرة ، دار الجامعات للطباعة ، ١٩٨٥.
٣٤- عبد القادر زياد ، صونغي على عهد الأسـقيين ، الجزائـر ، الـشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،.
٣٥- فيج رولاند أوليفر ، موجز تاريخ أفريقيا ، ترجمة دولت أحمد صادق ، القاهرة ، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة .
٣٦- فيج دي فين ، تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة يوسف نـصر ، القـاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .
٣٧- محمد أبوزهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، القاهرة ، دار الفكر العربـي ، ١٩٧٣ .
٣٨- محمود خيري عيسى ، العلاقات العربية الأفريقية ، القاهرة ، المنظمـة العربية للثقافة والفنون .
٣٩- محمود شيس خطاب ، قادة فتح المغرب ، ط١ ، بيـروت ، دار الفـتح للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .
٤٠- محمود كعت التمبكتي ، تاريخ الفتاش في أخبار الجيـوش والملـوك ، وأكابر الناس ، باريس ، ١٩١٣م.

٤١- مهدي ساتي ، الإسلام والثقافة العربية في حوض السنغال ، الخرطوم ، معهد البحوث والدراسات ، ١٩٩١م .
٤٢- ناجي معروف ، أصول الحضارة العربيـة ، بيـروت ، دار الثقافـة ، ١٩٧٥.
٤٣- ناصر السلاوي ، الأستقصار لأخبار دول المغـرب الأقـصى ، الـدار البيضاء ، ١٩٥٤.
٤٤- نعيم قداح ، أفريقية العربية في ظل الإسلام ، دمشق ، مكتبـة أطلـس، ١٩٦٣ .
٤٥- نور الدين على بن أبي بكر بن سليمان المصري ، الهيثمـي ، مجمـع الزوائد ومنبع الفوائد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١.
٤٦- نياني ، تاريخ أفريقية العام، ج٤ ، بيروت ، المنظمة العربيـة للتربيـة والثقافة والفنون ، ١٩٨٨.
٤٧- ولي الدين عبد الرحمن أحمد بن محمد بن خلدون ، العبر ، بيـروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٩١م.
٤٨- يونس عبد الحميد ، أحمد الشناوي ، إبراهيم زكي ، ، دائرة المعـارف الإسلامية ، بيروت ، دار الفكر العربي ،

المراجع باللغة الإنجليزية: References

١- Barth, Travel and discoveries in North and Central Africa, London, ١٩٨٥.

٢- Beca jambry, Trans Sahra Trade In west Africa, Berin, ١٩٩٧.

٣- Dorill, The Golden Trade of the Moors – London, ١٩٦٣.

٤- Hunmick Ahmmed Baba, General History of Nigirya, London, ١٩٦٣.

٥- Roland Oliver Fage, Short History of Africa.

٦- Triningham , Islam in West Africa , London , ١٩٦٣. p.١٧٨.

الرسائل الجامعية:

١- أحمد الياس ، الطرق التجارية ، كما عرفها الجغرافيين العرب حتى مـستهل القرن السادس عشر ، جامعة القاهرة ، كليـة الآداب ، رسـالة ماجـستير ، ١٩٧٧م .

الدوريات:

٢- إبراهيم على طرخان ، غانا في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الثالث عشر (١٣) ، القاهرة ، ١٩٦٧م.

٣- أحمد الياس ، الإسلام في مملكة غانا ، مجلة دراسات إفريقيـة ، العـدد ١٤، الخرطوم ، جامعة أفريقيا العالمية ، مركز البحـوث والدراسـات الأفريقيـة، ١٩٨٨م.

٤- حسن أحمد محمود ، دور العرب في نـشر الحـضارة ، المجلـة التاريخيـة المصرية ، العدد ١٢ ، ١٩٦٠.

٥- على عبد الله الخاتم ، التعليم الإسلامي في غرب إفريقيـة ، مجلـة دراسـات إفريقية ، العدد الثالث ، الخرطوم ، جامعة أفريقيا العالمية ، ١٩٨٧م.